الفصل الحادى عشر

السياسة الخارجية

قبل محاولة فهم وتوضيح السياسة الخارجية الإيرانية وعملية صناعة القرار يبدو من الضرورى التطرق إلى مفاهيم السياسة الخارجية والتى تتمثل فى:

- السياسة الخارجية Foreign Policy وتتعلق بالأهداف والسياسات المعلنة للدولة تجاه القضايا العالمية والإقليمية والمؤسسات الدولية الحكومية وغير الحكومية.
- السلوك الخارجى Foreign Behavior ومربط الفرس هنا الواقع العملى لعلاقات الدولة بالمؤسسات الدولية ومواقفها المختلفة فيما يتعلق بالقضايا والصراعات الدولية والإقليمية. أى أن السلوك الخارجى، لا ينظر إلى السياسات المعلنة على لسان المسئولين على مختلف المستويات، بل بما جرى الأخذ به فعلا على أرض الواقع، ولهذا فإن السلوك الخارجى هو الأهم.

ومن المعروف أن معظم الدول تسلك عمليا سلوكا مختلفا بشكل أو بآخر عن السياسة الخارجية التى يجرى الإعلان عنها، وهنا يبرز تأثير توافق وتناقضات المصالح وتعارضها على سياسة الدولة. وتدور عملية صناعة القرار بصفة عامة حول هدف رئيسى هو حماية المصالح والعمل على تعظيمها. ومثل هذه العملية المعقدة.. تخضع لحسابات صعبة ودقيقة وفقا لموقف مصالح الدولة من مصالح الدول الأخرى وضغوط الواقع وقدرة هذه الضغوط على التأثير على القرار. ولا تتوقف الأجهزة والمراكز المهتمة بصناعة القرار عن عملية التوفيق بين مصالح الدولة ومصالح الدول الأخرى، بحثا عن طريق يؤدى إلى الحرص على المصالح المشتركة كأولوية لعملية صناعة القرار واجراءات صنع القرار الخارجى Foreign Policy Process عملية فى غاية التعقيد دائما، إذ تعتمد على عوامل كثيرة ومتداخلة منها نوع النظام الحاكم، هل هو ديمقراطى محدود أم نخبوى تعاونى. أم نخبوى سلطوى وعلى موقع وقوة وحجم الدولة والقضايا الخارجية المراد مواجهتها وهى مهمة تكاد تكون يومية وفى تداخلات هذه العوامل نرى فى بعض الأحيان أن السلوك الخارجى للدولة يؤكد من

جانب الأهداف المعلنة بينما نجده فى أحيان أخرى يأتى بصورة مختلفة كما قد تجده فى مرة ثالثة توفيقيا. ويجب تأكيد ملاحظتين فى هذا الصدد. الأولى هى أن الظاهرة السلوكية لا تقتصر على دول دون أخرى بل هى ظاهرة إجمالية تتصف بها جميع دول العالم والثانية هى أن السلوك الخارجى قد يتم فهمه على أنه مزدوج أو متناقض. ولكن الحقيقة غير ذلك حيث أن الكثير من القرارات الخارجية تأتى بصورة تكاملية ومتناغمة تعبر عن أهداف الدولة الحقيقية أو مقتضيات السياسة الداخلية.

ويمكننا القول هنا إن الدول على إطلاقها تعتمد عدة استراتيجيات كقواعد أولية فى السياسة الخارجية والسلوك الخارجى قبل أى شئ آخر فالظاهرة السلوكية عند الدول بشكلها العام متعددة الأبعاد ولايمكن أن تكون قراءتها ممثلة للحقيقة بذاتها. أكثر من أن تكون، فى أفضل حالاتها، قريبة من فهم هذه الحقيقة.

وفيما يتعلق بإيران هناك خمسة عوامل تدخل فى القرار وتؤثر على سلوك إيران الخارجى وهذه العوامل كالتالى:

الأول: العوامل القانونية والأيديولوجية:

وتتمثل فى المواد الدستورية والقوانين الخاصة بالسياسة الخارجية، أما العوامل الأيديولوجية فتعنى الخلفية الفكرية والنظرية للقيادة الإيرانية أى المرشد العام للثورة الإسلامية.

(أ) العوامل القانونية:

هناك بعض المواد الدستورية والقانونية التى يمكن أخذها بالحسبان عند دراسة السياسة الخارجية لإيران باعتبار أن هذه القوانين والمواد لا تمثل جانبا نظريا فقط. وإنما ذات تأثير عملى تدفع إلى توجهات معينة فى سياق السياسة الخارجية. هذا عوضا عن كونها تمثل وازعا قانونيا للسلطة السياسية بشقيها التنفيذى والتشريعى لإجراءات سياسية خارجية. وأهم هذه المواد الدستورية تقع فى الفصل العاشر حيث تقول المادة (١٥٢) بالاستقلال التام عن القوى الخارجية. والعلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة. فى حين تعطى المادة (١٥٤) الشرعية للعمل على حماية النظام المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين فى أية نقطة من العالم. كما تركز مواد أخرى على مقاومة النفوذ الأجنبى وطرد الاستعمار[1].

(١) دستور الجمهورية الإسلامية فى إيران (باللغة العربية) ترجمة الدكتور أذرشب. إصدار الإرشاد الإسلامى دائرة التخطيط والتنسيق للإعلام الخارجى. الطبعة الأولى. طهران.

أما بالنسبة للوائح القانونية المنظمة لعمل وزير الخارجية فنجد أن الفقرة رقم (٤) من القانون لسنة ١٩٨٣ تلزم وزير الخارجية بأن يقوم بمساعدة المستضعفين وخاصة المسلمين بكل الوسائل الضرورية للقيام بالدفاع عن أنفسهم ضد المستكبرين في كل أجزاء العالم من دون التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى وبناء على مقتضيات أهدف السياسة الخارجية والتنسيق مع الأجهزة الأخرى للبلاء[١].

من هذه المواد الدستورية والقانونية نجد أنها أولا تشجع العمل على دعم الحركات والدول التحررية فى العالم والتى تقاوم النفوذ وأشكال الهيمنة الأجنبية وخاصة الغربية فى كل مناطق العالم لا سيما فى العالم الإسلامى. ثانيا نجد أن هذه المواد تنادى بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للشعوب والدول الأخرى. ثالثا. إنها تبقى القرار والخيار مفتوحا لتقرير وقت وماهية التدخل وفقا لمصلحة الدولة العليا ورؤية المسئولين القائمين على معالجة السياسة الخارجية وبين العناصر الثلاثة السابقة تبقى مرونة كبيرة قد يدخل فى جدلياتها أطراف عديدون فى إجراءات صنع القرار.

والنقطة الرئيسية بهذا الصدد هى أهمية الرؤية السياسية للقائمين على صنع السياسة الخارجية لتشخيص مصلحة الدولة وتفسير القضايا الخارجية واتخاذ اللازم نحوها. وأهمية هذه النقطة تنطلق من ترك الدستور والقانون الإيرانى المجال مفتوحا لاتخاذ سياسات متعددة تتدرج على طول طرفى الخط الممتد بين الواقعية والمثالية.

(ب) العوامل الأيديولوجية:

المقصود بالعوامل الأيديولوجية الفلسفة السياسية للنظام فى إيران والتى ترتبط بنظرة ولى الفقيه تجاه السياسة الخارجية. وقد وضع الخمينى الأساس والإطار النظرى لفلسفة النظام الإسلامى الحالى فى إيران، وأفضل من شرح ذلك الباحثان الإيرانيان الأصل والأمريكيان الجنسية. شيرين هنتر (S. Hunter) وروح الله رمضانى (R. Ramazani).

تقول هنتر فى كتابها «إيران والعالم الاستمرارية فى العقد الثورى» (Iran and the World: Continuity in a Revolutionary Decade) إن محور تفكير الإمام الخمينى فى السياسة الخارجية لا يقوم على النظرة الإسلامية التقليدية المؤسسة على مفهومى دار الحرب

---

(١) Afraslabi. K.L. (1994). After Khomeini. New Directions in Iran's. Foreign Policy. Boulder, Co: Westriew

ودار السلام، وإنما على مفهومى المستكبرين والمستضعفين[1] ووفقا لهذه النظرة الجديدة لا يتوقف دور الدولة الإسلامية على حماية دار السلام أو الإقليم الإسلامى فحسب وإنما يشتمل أيضا على المساهمة فى توحيد صفوف كل المناوئين للظلم والهيمنة العالمية فى الدول الإسلامية أو غيرهـا مع إعطاء أولوية خاصة للمحيط الإسلامى. وهذه النظرة باعتقاد الكثير من علماء الدين فى إيران تتلاءم مع الوضع الدولى المعاصر القائم على شكل الدول الحديثة الذى يختلف بوضوح عن وضع الدول فى الأنظمة الدولية البائدة والتى كانت عبارة عن إمبراطوريات كبيرة مترامية الأطراف وقائمة على شرعية حماية العقيدة الدينية لمجتمعاتها. ويحاول البروفيسور روح الله رمضانى أن يرجع نظرية الإمام الخمينى إلى أصول تتعلق بالثقافة الإيرانية والإسلام والقائمة على حتمية العدل فى معاملتهم اليومية[2] وبصرف النظر عن مدى صحة هذا الادعاء إلا أن رمضانى فى دراسته القيمة الأخرى «السياسة الخارجية الإيرانية: الأصول المتضاربة (Iran's Foreign Policy: Contending Orienta tions)» يعطى صورة أشد إيضاحا عن مدى تقارب الأصول النظرية للأيديولوجية السياسية بالثقافة الإيرانية. وعلى هذا قام رمضانى بربط بعض المفاهيم الجديدة مثل سياسة التوازن (تفازن) وعدم الانحياز (بيتارفى) بالجذور الثقافية والحضارية الفارسية القديمة[3] ويعتقد رمضانى أن نظرية ولى الفقيه فى السياسة الدولية تحتوى على ثلاثة عناصر أساسية أولها، الرؤية التحديثية للتهديدات الخارجية غير المقتصرة على خارج حدود العالم الإسلامى ثانيا، مزج هذه الرؤية التحديثية بالأدبيات الإسلامية والثقافية الإيرانية حتى يكون هناك تفاعل جماهيرى معها ثالثا، عالمية السياسة الإسلامية حيث أنها غير محددة بمساعدة الدول والشعوب الإسلامية بالرغم من أولويتها على غيرها من الشعوب فى محاولة لحصر دول العالم الثالث والأقليات المضطهدة فى رقعة سياسية واحدة لمواجهة السيطرة والنفوذ الغربى الليبرالى.

---

(1) Hunter. Shireen (1990). Iran and the World: Continuity in a Revolutionary Decade. Bolmington: Indiana university Press.

(2) Ramazani. R. K. (1990). Iran's Export of the Revolution: Politics Ends and means. In John Esposito (Ed). The Iranian Revolution. Miami: Florida International. University Press.

(3) Ramazani. R. (1990). Iran's Export of the Revolution: Politics Ends and Means, P 50 In. John Esposito The Iranian Revolution. Its Global Impact. Miami: Fl: Florida International. University Press.

أيضا النظر فى الكتاب السابق دراسة بعنوان:

Farhang Rajaee. Iranian Idelog and World view: The Cultural Export of Revolution.

وبعد نجاح الثورة فى اقتلاع نظام الشاه يرى الإمام الخمينى أن هناك مسئولية أساسية لإيـران فى مسـاندة الحركات والـدول التحريرية ضد النفوذ الأجنبـى وخاصة فى مجال التحـرر مـن الهيمنة الثقافية. ومن هـذا المنطلق أتت فكرة تصدير الثـورة والتى أدت إلى مساجلات كبيرة بين المتخصصين فى الشئون الإيرانية والدولية عن مدى شرعيتها.

وفـى الحقيقـة إنه على الرغم من إصرار الإمام الخمينى علـى ضرورة تصدير الثورة إلا أنه لا يرى بأن يكون هذا التصدير عن طريق الإكراه أو العنف أو الهيمنة. ولقد أدلى بهذا فى إحدى المناسبات عندما قال[1] إنه ليس عبر السيف تصدر الثورة. وتصدير الأفكار عبر الثورة لا يعتبر تصديرا كما يعتبر الكثير من المسـئولين الإيرانيين إن تصدير الثورة يتوقف على النموذج الإسـلامى الذى تسـتطيع أن تقدمه إيران لبقية دول وشعوب العالم وبطبيعة الحال فإن تصدير الثورة لم يخل من ممارسـة العنف وبصورة انعكسـت على صورة إيران الخارجية بين الدول العربية وأبرزت دورها كدولة ترعى الإرهاب.

وبناء عليه فإن منصب ولى الفقيه يشـكل أحد المحاور والأركان الأساسـية المؤثرة على السياسـة الخارجية المتعلقة بالقضايا العليا مثل الصلح مع اسـرائيل والعلاقة مع الولايات المتحـدة الأمريكية وإبـرام معاهدات مع دول أجنبية والدخول فـى الحرب، وتنطلق هذه المسـئوليات من منصب ولى الفقيه الـذى حدده القانون والدسـتور الإيرانى. فهو الرئيس الأعلى للقوات المسـلحة وهو رئيس مجلـس الدفاع الأعلى الذى يدخل فى عضويته رئيس الجمهوريـة ووزيـر الدفـاع ورئيس أركان الجيـش والحرس وأعضاء آخريـن كما أن لولى الفقيـه صلاحية إقـرار منصب رئيس الجمهورية بعد فـوزه بالانتخابات وحتى عزله بعد رأى مجلس الشـورى الذى يجب أن يكون بأغلبيـة ثلاثة أرباعه أو بعد صدور حكم على رئيس الجمهورية من المحكمة العليا بعدم صلاحيته وكفاءته لتولى منصب الرئاسة. وهناك وظائف كثيرة تناط بولى الفقيه فهو إذن محور للنظام الإسلامى فى إيران وطبيعى أن تتأثر السياسـة الخارجية بدوره ونظريته. وهكذا فإن الفلسـفة السياسية الموجهة من ولى الفقيه لا يمكن الخروج عنها بأى حال من الأحوال.

الثانى: العوامل الاقتصادية:

يعتبر العامل الاقتصادى من أهم العوامل المحركة للاتجاهات والتوجهات السياسـية. هذه الحقيقة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها عند مناقشة سياسة أى دولة مهما كانت طبيعتها

(1) Ramazani. Rohulla (1984), spring), Iran's Foreign Policy: Contending Orientations. Middle East Journal 43 (2), 202 - 217.

وواقعها، وإيران ليست استثناء من هذه القاعدة، حيث يلعب الاقتصاد دورا حيويا فى الحياة السياسية الإيرانية. بل إن المناقشات السياسية اليومية فى طهران لا يمكن أن تخلو من مناقشة الأمور الاقتصادية كما إن الانعكاسات الاقتصادية بالغة التأثير على مسار العلاقة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية. هذا بالإضافة إلى أن المحور الأساسى للمعارضة السياسية داخل إيران ينطلق من أساسيات الفلسفة والسياسة الاقتصادية للدولة، حتى بلغ الأمر أن تكون أنشطة الجماعات السياسية متأثرة بالمسائل الاقتصادية.

وبعد تعرض إيران للحرب التى دامت ثمانى سنوات جاءت المشاكل الاقتصادية من كل حدب وصوب لتؤثر فى الواقع السياسى بعد الحرب بشكل درامى كبير. وتقدر إيران بأن خسائرها المباشرة وغير المباشرة من الحرب تعادل ٨٧١.٥ بليون دولار، بينما تقدر الأمم المتحدة الخسائر الإيرانية بحوالى ٩٧ بليون دولار. فى ظل هذه الخسائر الباهظة نجد أن مجموع ميزانية إيران فى جميع سنوات الحرب الثمانى تعادل ١١٢ بليون دولار. وقد كلفت الحرب إيران دمار أكثر من ٦٠ مدينة و ٤٠٠٠ قرية بصورة كلية أو جزئية[١] هذا بالاضافة إلى الكثير من مهجرى الحرب (جانك زادة) الذين يتجاوز عددهم خمسة ملايين نسمة تمت إعادة إسكانهم ورعايتهم خلال هذه السنوات العجاف.

فى ظل هذه المعادلة الاقتصادية الحرجة لا يجد رجال السلطة فى إيران إلا التركيز على ضرورة حل المعضلات الأساسية المتفرعة عن هذا الوضع المأساوى، والذى يزيد الوضع سوءا إن إيران لا تتمتع بعلاقة جيدة مع معظم الدول الصناعية المانحة للقروض ولاتستطيع المؤسسات المالية مثل البنك الدولى والبنك الدولى للإنشاء والتعمير وغيرها من المؤسسات المالية العالمية أن تمنح إيران القروض المالية بسبب هيمنة الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة عليها.

لذلك كان لزاما على المسئولين الإيرانيين أن يفتحوا من جديد باب الحوار مع بعض الدول الغربية وخاصة الأوروبية فى محاولة لخلق جو من التعاون والتفاهم المشترك. وهذا يتطلب أيضا فتح باب التعاون مع دول المنطقة لتغيير الانطباع السلبى من سياسة إيران[٢].

---

(١) مرجع سابق Afraslabi. K.L. or.cit

(٢) د.عبد الله يوسف مجلة السياسة الدولية.

يـرى بعض الباحثين أن الاقتصاد الإيرانى متقلب وغير ثابت ويلعب العامل الخارجى دورا رئيسـيا فى المسـار الاقتصادى بشـكل عام. خاصة بعد أن تبنت الحكومة الأمريكية سياسـة الاحتواء المزدوج والتى تمخض عنها الحظر التجارى على إيران وعلى الشـركات العالمية التى تتعامل معها.

ولا يمكن إغفال تأثيره النسـبى على الاقتصاد الإيرانى وخاصة فى مجال صرف العملة الإيرانية وتبعياتها الاقتصادية السـلبية على مسـتويات التصديـر للصناعات غير النفطية وليس المقصود هنا تقييم مسار الاقتصاد الإيرانى بقدر معرفة أثره على السياسة الخارجية. ومـن الطبيعى إنه وفق هذا التأرجح الاقتصادى بين الركود والنجاح فإن الحكومة الإيرانية تتطلـع إلى فتح كل منفذ ممكن نحو العالم الخارجى لتقوية موقفها الاقتصادى مما يجعلها مرنة إلى حد كبير فى سياستها الخارجية خاصة مع الدول الخليجية والآسيوية فنجد على سبيل المثال أن المسئولين الإيرانيين يتحدثون عن استعداد بلادهم لإقامة علاقات اقتصادية وتعاونية مع دول الخليج، وعلى صعيد خليجى آخر فإن إيران تحرص كذلك على التعاون الاقتصـادى مع الكويت أما على الصعيد الآسـيوى فإن إيران تبذل جهدا كبيرا فى توثيق علاقتهـا الاقتصادية مع دول وسـط آسـيا والقوقاز والذى أسـفر عن قيـام منظمة التعاون الاقتصـادى وفتح طريق سـكك حديديـة سميت بطريق الحرير وتعمل إيـران على موازنة سياسـتها الخارجية وإعادة غربلة وتقييم بعض المفاهيم السياسـية والتى تثير حفيظة هذه الدول والتى قد تمنعها من الدخول فى أى مشـاركة اقتصادية معها وبعد عقد مؤتمر الدول الإسلامية فى طهران تحاول الأخيرة جذب الدول الإسلامية الفاعلة سياسيا واقتصاديا.

الثالث: التيارات السياسية:

تعتبر إيران من المجتمعات المعقدة فى تركيبتها الاجتماعية والسياسية وأكثر المصطلحات انطباقـا على المجتمع الإيرانى هو المجتمع الموزايكى وفى هذا الوصف يجب التفريق بين مفهومى الفئات الاجتماعية والأحزاب السياسية.

فليس بالضرورة أن يكون كل حزب سياسـى معبرا عن طبقة اجتماعية بذاتها والعكس صحيـح كذلك لذلك يجب عند دراسـة التيارات السياسـية تعريف الفئـات الاجتماعية والأحزاب السياسية بشكل اجتماعى حتى يمكن الوقوف على تداخلاتها وتتمكن من قياس تأثيرها السياسى وبالأخص على السياسة الخارجية للدولة.

(أ) الفئات الاجتماعية[1]

١ – علماء الدين:

ينقسم علماء الدين إلى فئات وأنواع كثيرة وذلك لتعدد المدارس الفلسفية والفكرية التى تمتاز بها الحوزة العلمية والتى تعتبر المدرسة الدينية للمذهب الجعفرى. ولكن بشكل عام يمكننا أن نركز على نوعين رئيسيين وهما:

النوع الأول: ويشمل علماء الدين الذين يرون العمل السياسى من الأولويات الأساسية لمسئوليات رجل الدين، ولهذه الفئة رصيد ضخم من المساجلات والمساهمات السياسية فى التاريخ السياسى لإيران وخاصة منذ بداية القرن العشرين حيث أسهموا فى الثورة الدستورية فى عام ١٩٠٥ أو ما يسمى بالمشروطة[2]. ويتصدر قائمة هذه الفئة من المعاصرين الإمام الخمينى وآية الله مطهرى، وآية الله بهشتى وآية الله طالقانى. وآية الله موسوى آرد بيلى والرئيس الإيرانى السابق الشيخ رفسنجانى، ومرشد الثورة الإسلامية الحالى آية الله خامئنى وآية الله شريعتمدارى، وآية الله روحانى وغيرهم.

النوع الثانى: وهم علماء الدين التقليديون الذين يتبنون العمل السياسى وبذلك فإنهم فى عزلة عن التصدى لمثل هذا العمل، ويقتصر دور هؤلاء العلماء على الفصول الفقهية والأعمال الدينية البحتة ويقتصر عملهم الأساسى على التدريس فى الحوازات العلمية ورعاية أحوال أتباعهم الاجتماعية والدينية. ومن أمثال هؤلاء آية الله السيد موسى الزنجانى، وآية العظمى السيد مرعشى نجفى.

---

(١) لمعرفة المزيد والتفاصيل عند تعقيدات الفئات الاجتماعية فى إيران يمكن الرجوع إلى كتاب منصور معدل «الفئات والسياسة الأيديولوجية فى الثورة الإيرانية».

Moaddel, Mansoor (1993). Class, Politics and Ideology in Iranian Revolution New York: Coclumbia Ministry Press.

وكتاب ميساغ باراسا. الأصول الاجتماعية للثورة الإيرانية

Pasra. Misagh (1989) Social Origins of Iranian Revolution. New Breunswick. N.J.: Rutgers University Press.

(٢) المشروطة هى عبارة عن عقد سياسى تم اشهاره بعد اضطرابات سياسية أو الثورة الدستورية تمخض عنه دستور جديد فى عام ١٩٠٦ ينص على أن إيران ملكية دستورية وينص أيضا على وجود مجلس شيوخ يساهم فى اقتسام السلطة مع الملك. على أن ينظم مجلس الشيوخ من علماء الدين إلا أن العمل بهذا الاتفاق لم يتم حتى سنة ١٩٥٠. ولفترة وجيزة لتقوية مركز الشاه السياسى حينذاك، ومن علماء الثورة الدستورية آية الله طبطبائى وآية الله ميرزا حسين النائينى.

وليس هناك حد فاصل وواضح لنظرتهم الدينية لذلك فهم فى بعض الأحيان يعطون آراء فى المجالات السياسية متى ما كان ذلك ضروريا أو ضمن مهماتهم المرجعية والدينية.

٢ – الليبراليون:

وهم خليط من البرجوازية الصغيرة، والوطنيين القوميين والذين ظهروا بمسميات متعددة منهـا حركة المقاومة الوطنية عـام ١٩٥٤ والجبهة الوطنية الثانيـة عام ١٩٦٠ إلى ١٩٦٣ والجبهـة الوطنية الثالثة عام ١٩٦٥، ويتفرع من هذه الفئة سياسـيون كبار عرفهم التاريخ السياسـى المعاصر لإيران من أمثال مهدى بازركان، كما إنه من المعروف إن الرئيس الأول لإيـران بعد الثورة بنى صدر وصادق قطب زاده وآية الله شـريعتمدارى يتعاطفون مع طرح هذه الفئة، وتتمحور آراء هذه الفئة حول تحرير الاقتصاد وإعطاء المزيد من الحريات العامة والتقارب الأكثر من الغرب وخاصة الدول الأوروبية.

٣ – اليساريون:

أغلـب أفـراد هذه الفئة من المثقفين الذين يتبنون إما جزئيا أو كليا النموذج الماركسـى فـى بنـاء الدولة الحديثـة، وتولد عن هذه الفئة أحزاب سياسـية عديـدة منها من يعمل على السـاحة السياسـية ومنها من اضمحل أو اندمج مع جماعات أخرى. ومن أمثال هذه الجماعات والأحزاب السياسية التى تتبنى مثل هذا الطرح حركة مجاهدى خلق (١٩٦٠)، وحزب تودة (١٩٤١) ومنظمة الشـعب الفدائى الإيرانى (١٩٧١) الذين يعرفون بالفدائيين. ومـن المعروف كذلك أن بعض المتبنين للطرح الماركسـى غير منظمين فى تيارات سياسـية واضحة ولكنهم ينخرطون فى جماعات وتيارات سياسية متباينة.

٤ – التجار (البازار):

يعتبر التجار أو ما يطلق عليهم بالأدبيات الإيرانية «البازار» أقوى فئة اجتماعية بعد علماء الديـن فى الحياة، السياسـية الإيرانية. ويرجع تاريخ نمو التوجه السياسـى للبازار إلى عام ١٨٣٧ عندمـا تصدى التجار الإيرانيون فى تلك الفترة للتجار الأوروبيين. وتصاعدت معارضة التجار لخصومهم الأوروبيين فى الخمسينيات من القرن الثامن عشر وأمام محاولاتهم المتوالية والتى باءت بالفشل للوقوف ضد التجار الأوروبيين الذين تحميهم السلطة القاجارية حينذاك، توجه التجار بعد خسـارتهم للسوق المحلية إلى تأييد علماء الدين،الأمر الذى تمخض عنه ما يعرف بثورة التنباك وتبعاتها السياسـية والتى خلفت الثورة الدستورية. وبعد هذا التوافق فى

المصالح أصبح التجار ذوى علاقة سياسية وليست فقط دينية مع رجال الدين ضد السلطة المحلية والتدخل الأجنبى. ويعتبر التجار أو البازار من أقوى التيارات الاجتماعية ذات التأثير السياسى الكبير فى إيران. إلا أنه عرف عنهم بأنهم مع السلطة السياسية كلما كانت هناك اتجاهات للسلطة لحماية وضعهم الاقتصادى مما يعنى إنهم بشكل عام مع الإصلاح الاقتصادى ومع أى سياسات داخلية أو خارجية طالما إنها تصب فى النهاية فى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية لإيران. وعلى أى حال فإن هذا الارتباط التاريخى قد اشتد وثاقه بفعل العلاقة المالية بين التجار ورجال الدين والتى تتمحور حول مسئولية الخمس الشرعى عند أهل المذهب الجعفرى. الذى أدى إلى استقلالية رجال الدين عن الدولة بصورة مستمرة وعلى مر التاريخ على الرغم من التنكيل الذى تعرض له علماء الشيعة.

٥ – الفلاحون:

وتعتبر هذه الفئة الطبقة العريضة من الشعب ولكنها غير منظمة بل خاضعة لتبعية عدة جماعات سياسية وخاصة لرجال الدين حيث إن معظم التأييد الشعبى للحكم الإسلامى يأتى من هذه الفئة. وتعتبر هذه الفئة الرصيد السياسى الفعلى لأى نظام سياسى فى إيران لذلك يحرص كل تجمع أو تيار سياسى على استقطابها ولكن على صعيد الواقع لم ينجح أى تنظيم سياسى فى القيام بعملية الاستقطاب السياسى لهذه الفئة إلا رجال الدين وذلك لأسباب عديدة، منها إن السواد الأعظم من الفلاحين ذوو توجهات محافظة إضافة إلى أن رجال الدين استطاعوا أن يتعاملوا مع هذه الفئة عن قرب عن طريق الاتصال غير الرسمى الذى يتولى أمره مراجع الدين بواسطة الخطباء وأئمة المساجد الذين ينتشرون فى القرى والمناطق الصغيرة والذين يقومون بالتدريس والإرشاد وحل المشاكل بين الأهالى مما جعل لهم نفوذا اجتماعيا واسع النطاق على الحياة الاجتماعية والعرفية لهذه الفئة وبالرغم من عدم وجود تأثير مباشر لهذه الفئة فى صناعة القرار الخارجى إلا انها تعتبر ظهيرا سياسيا قويا لمتخذ القرار السياسى أو للمعارضة لذلك يسعى الجميع لكسب تأييدها فى سبيل التأثير غير المباشر فى أمور سياسية مختلفة منها السياسة الخارجية.

٦ – الطلبة:

والمقصود بالطلاب، هنا، طلبة الحوزات الدينية والجامعات فى شتى المدن الإيرانية، ومن المعلوم أن تأثير الطلبة فى الحياة السياسية الإيرانية يعتبر أحد العوامل الأساسية فى العملية السياسية. فبالإضافة إلى الحجم الكبير الذى تتمتع به هذه الشريحة، فمن المعروف

أنهم أكثر الفئات مشاركة فى العمل السياسى. كما أن هذه الفئة تعتبر التيار الرئيسى لقوى الثورة والسياسة فى إيران. ولطلبة علوم الدين وزن انتخابى لا يستهان به يجعل بعض الأحزاب والتيارات السياسية الأساسية تتمحور حول الأطروحات الطلابية سعيا وراء استمالتهم، والحقيقة أن هذه الشريحة الاجتماعية تتنوع فى اتجاهاتها السياسية التى توصف بحالة غير ثابتة. وعلى الرغم من ذلك، فإن جل اهتمام هذه الشريحة لا يتعلق بالعمل السياسى الخارجى أكثر من الأمور المحلية والداخلية، ولطلبة الحوزات العلمية الذين يقدر عددهم بحوالى ٣٠ ألف طالب تأثير يفوق عددهم الفعلى، حيث يعتبرون الجسر الذى يحمل الرسالة الدينية للطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى لذلك فإنهم أداة فاعلة للضغط والعمل السياسى فى إيران لا يمكن اغفال أهميتها هذا بالإضافة إلى أن لهم آراء فى السياسة الخارجية وعلاقة إيران بالعالم الخارجى، كما أن لهم احتكاكا مباشرا مع الشعوب الإسلامية من خلال المؤتمرات واللقاءات الدينية والفكرية وتبعا لذلك فإنهم يلعبون دورا أساسيا فى تنشيط وتوضيح السياسة الخارجية الإيرانية.

٧ – العمال:

بالرغم من عدم تبلور الدور السياسى للعمال ضمن جدول أعمال محدد أو تنظيم معروف، إلا أن أهميتهم تتصاعد بدرجة كبيرة، وذلك يرجع إلى سياسة التصنيع وخاصة الصناعات الثقيلة التى اختطتها حكومة الرئيس الإيرانى السابق الشيخ على أكبر هاشمى رفسنجانى، كما تحاول هذه الفئة تنظيم نفسها من خلال النقابات العمالية. إلا أنه وبسبب عدم نضوج هذه النقابات وتعرضها للانسياق السياسى لبعض التيارات السياسية لم تتمكن من الاستقلال بنفسها. ولكن المستقبل يوحى بأنه سوف يكون لها شأن يعتد به على الساحة السياسية فى السنوات المقبلة وخاصة إذا نجحت إيران فى تثبيت وتطوير صناعتها الوطنية.

(ب) التيارات والأحزاب السياسية:

توجد فى إيران أحزاب وتيارات سياسية متعددة منها ما هو ظاهر على الساحة السياسية ومنها من يعمل خارج إيران ومنها:

١ – رابطة علماء الدين المجاهدين (جامعة روحانيت مبارز تهران):

رابطة علماء الدين المجاهدين تعبر عن ائتلاف يضم حوالى ١١ مجموعة صغيرة وكبيرة، كما تعبر هذه المجموعة بصورة عامة عن التيار اليمينى المحافظ. ويتوافق هذا التيار

السياســى مع برنامج الرئيس السابق رافسنجانى فى سياسته الإصلاحية إلى حد ما، ولكن ازدادت حــدة المعارضة له وخاصة قبيل الانتخابات البرلمانية الخامســة التى أجريت فى شهر مارس (١٩٩٦) ولقد فاز هذا التيار بالأكثرية فى الانتخابات البرلمانية الرابعة لمجلس الشورى عام ١٩٩٢ بينما لم يحقق نفس الأغلبية الساحقة فى الانتخابات الخامسة.

٢ – مجموعة الإعمال والبناء (كاركوزاران):

ظهرت هذه المجموعة على الســاحة السياســية قبل الانتخابات التشــريعية الخامسة فى مطلع ســنة ١٩٩٦، وأخذت غطاء سياســيا وشــعبيا من الرئيس رفســنجانى، وأطلق عليها فى بداية تشــكيلها مجموعة الـ ١٦ لوجود عشــرة وزراء من الحكومة وأربعة نواب للرئيس ومدير البنك المركزى ورئيس بلدية طهران ولكن بعد ظهور الشــكوك حول قانونية الممارســة الانتخابية من قبل الوزراء، انســحب منها الوزراء العشــرة لتبقى بمسمى جديد وهو «مجموعة الســتة» والذى أعلن مجلس الخبراء عدم مشروعيته أيضا فيتحول الاسم إلى مجموعة الإعمار والبناء.

وتركز هذه المجموعة على الانفتاح الاقتصادى وبناء إيران من الداخل حتى تستطيع أن تقوم بالدور المناط بها خارجيا ويضم هذا التجمع مزيجا من التكنوقراط أى إنها تعتبر التطور الطبيعى فى مسيرة الثورات خاصة عند خروجها من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة. فمن المعلوم تاريخيا أن أى ثورة سياسية تبدأ بعنفوان كبير ولكن سرعان ما تعود إلى الهدوء من أجل التركيز على شئونها الداخلية فى محاولة لتقديم نموذج ناجح إلى العالم الخارجى.

٣ – تجمع علماء الدين المجاهدين (مجمع روحانيون مبارز تهران):

بالرغــم من تقارب اســم هذا التيار مــع التيار الأول (جامعة علمــاء الدين المجاهدين) إلا أن الأطروحتين السياســيتين للتيارين مختلفتان تماما. ويعتبر هذا التيار على حد تعبير الكثير من المتخصصين فى الشــئون الإيرانية. التيار الدينى المتشــدد والذى عارض الانفتاح الاقتصادى وخطط الرئيس رفســنجانى السياســية. ومن قادة هــذا التجمع آية الله كروبى رئيس المجلس الثالث وحجة الإسلام محمد موسوى خوينيها.

٤ – منظمة مجاهدى الشعب الإيرانى (سازمان مجاهدين خلق إيران):

يعود تشــكيل هذه المنظمة إلى عام ١٩٦٠– ١٩٦٣ فى عهد النظام الملكى. وهى منظمة ثورية تخلط بين بعض المفاهيم الإســلامية والاشــتراكية العلمية. المؤسسون لهذه المنظمة هم محمد هاينفينز هاد وسيد محسن وعلى أصغر باديز أديغان ومسعود رجوى.

وتعتبر المنظمة من أكبر الأحزاب السياسية المعارضة لنظام الحكم فى إيران وتعتبرها الحكومة الإيرانية منظمة إرهابية. وقد اتسمت العلاقات الإيرانية- الفرنسية بالتوتر خلال النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضى عندما كانت هذه المنظمة تتخذ من فرنسا مركزا لها. حتى قامت الأخيرة بطرد أفراد هذه المنظمة وإنهاء عملهم السياسى مما جعلهم يلجأون إلى العراق لاستكمال نهجهم المعارض ضد إيران بعدما رفضت عدة دول عربية وأوروبية استضافتهم، وقد استخدمهم العراق كورقة رابحة ضد إيران وذلك بغية أن تقوم الأخيرة بتضييق العمل السياسى على الجماعات العراقية المعارضة العاملة فى إيران. وذلك طوال فترة رئاسة صدام حسين.

٥ - مجاهدو الثورة الإسلامية خط الإمام (مجاهدين انقلاب إسلامى بيروى خط إمام):

يرجع تنظيم مجاهدى الثورة الإسلامية إلى فترة ما قبل الثورة عندما كانوا يكافحون ضد نظام الشاه. ويعتقد أن أفرادا من هذا التنظيم كانوا يكافحون ضد نظام الشاه. ويعتقد أن أفرادا من هذا التنظيم كانوا أعضاء فى منظمة مجاهدى الشعب الإيرانى (مجاهدى خلق) ولكن نتيجة للاختلاف الفكرى حول الماركسية التى تتبناها منظمة مجاهدى خلق والإسلام الذى يتبناه هؤلاء الأفراد، فلقد انفصلوا فى تنظيم أسموه بمجاهدى الثورة الإسلامية. ولقد نشط هذا التنظيم بعد الثورة وتغلغل أفراده فى جميع المؤسسات المهمة مثل الخارجية والجيش والحرس والمؤسسة الدينية ومجلس الشعب والوزارات الرئيسية والمؤسسات الشعبية الكبرى. ومن رجال هذا التنظيم المشهورين على محمد رجائى الرئيس الإيرانى الراحل والذى تولى الرئاسة بعد بنى صدر. وبهزاد نبوى وزير الدولة السابق والأدميرال على شمخانى وزير الدفاع ورفيق دوست رئيس الحرس الثورى السابق وفى عام ١٩٨١ وعلى أثر انتشار موجة فكرية فى حتمية ذوبان التيارات والأحزاب فى بوتقة الإمام الخمينى طلب أعضاء التنظيم من الإمام الخمينى حل التنظيم، ولكن بعد فترة عادت بعض عناصر تنظيم مجاهدى الثورة إلى العمل من خلال ما يسمى بتيار أو خط الإمام وبسبب التوافق النظرى بين أفراده، اتسم هذا التيار بالشعبية والانتشار. فلقد عمل فى بدايته فى الأمور الثقافية والفكرية حتى استطاع أن يؤسس قاعدة من المفكرين ومن ثم الانطلاق للعمل فى الحقل السياسى للأخذ بمنهج التغير التدريجى من خلال امتزاج الإطار الإسلامى الذى وضعه الإمام الخمينى والنظرة الواقعية لداخل وخارج إيران. ولعل هذا المنهج كان سببا لانضمام أعضاء وتجمعات أخرى مثل بعض أعضاء تجمع رجال الدين المجاهدين بعد خروجهم من تجمعهم، واستطاع تيار

خط الإمام استمالة بعض التجمعات الصغيرة نسبيا مثل اللجنة الإسلامية لمدرسى الجماعات ولجنة المعلمين الإيرانيين وبعض الكتاب الصحفيين والمثقفين الإيرانيين. كما إنهم تعاونوا بشكل كبير مع تجمع كوادر الإعمار والبناء وتيار خط الإمام بهذه الإمكانات دعم وبشكل كبير مرشحة السيد محمد خاتمى للرئاسة ومن المتوقع أن يتواصل انتشار هذا التنظيم ويتفاعل أكثر مع الجماعات الأخرى فى المجتمع الإيرانى. وعلى الرغم من مواقفها العنيفة ضد الولايات المتحدة إلا إنها تنادى بالتوازن السياسى والانفتاح الحضارى على الشعور. ولهذه المجموعة صحيفة ذائعة الصيت تسمى «عصر ما» والتى تعنى عصرنا.

٦ - التيارات والمجموعات الصغيرة

هناك الكثير من المجموعات الصغير المتناثرة فى المجتمع الإيرانى. ومن الملاحظ إن هذه الجماعات دائما ما تلجأ إلى الالتحام أو التضامن مع جماعات أخرى أكثر قوة حتى يتسنى لها بلوغ مرادها ولو بصورة نسبية ومن أمثلة هذه التيارات الآتى:

- مجموعة أساتذة الجامعة.
- حركة نهضة الحرية: يرجع تاريخها إلى بداية ستينيات القرن الماضى حيث أسسها المفكر الإيرانى الراحل مهدى بازركان. وتعتبر هذه الحركة من الحركات الليبرالية المطعمة بالأفكار الإسلامية. ويرأس هذه الحركة المعارض الشهير إبراهيم يزدى.
- مجموعة الجامعيين المستقلين: يقودها حشمت الله طبرزدى الذى حقق شهرة شعبية من خلال مشاركته فى إصدار الصحيفة الأسبوعية بيام دانشجو (صوت الجامعة) ولكن تبقى هذه المجموعة كغيرها من المجموعات الصغيرة عرضة للتحالف وتقديم الأولويات الداخلية على الاهتمامات السياسية الخارجية.

وبشكل عام يمكننا استخلاص أن من بين التيارات السياسية المشار إليها يوجد تياران سياسيان مهمان فى تأثيرهما واهتمامهما بالسياسة الخارجية وهما رابطة علماء الدين المجاهدين (روحانيت) ومجموعة الإعمار والبناء (كار كوزاران) وتأتى بقية التيارات بعدها فى درجة الاهتمام. أما بالنسبة للفئات الاجتماعية فإننا نجد أن فئتى البازار وعلماء الدين العاملين فى السياسة يأتيان فى المركز الأول فى مدى اهتمامهم بالسياسة الخارجية مقارنة بالفئات الاجتماعية الأخرى. ويرجع السبب فى ذلك إلى اهتمام هاتين الفئتين بالمخرجات الاقتصادية والثقافية والأيديولوجية والتى تتأثر بصورة مباشرة بنوعية السياسة الخارجية.

وتكمن الصعوبة فى قياس تأثير كل من التيارات السياسية والفئات الاجتماعية بصورة دقيقة لكثرة التداخلات بينها، والعامل القوى والذى يمكن أن يضعف أو يقوى دور هذه الفئات والأحزاب يكمن فى درجة علاقتهم وتوافقهم مع مرشد الثورة أو ولى الفقيه الذى يمكنه أن يعطى غطاء شرعيا وأيديولوجيا لآرائهم الخاصة بالسياسة الخارجية ومن ثم يضاعف تأثيرهم على القرار الخارجى، والخلاصة أنه كلما كان هناك توافق بين مجمع روحانيت والبازار وعلماء الدين العاملين فى الحقل السياسى مع نظرة ولى الفقيه، كلما كان التأثير أكثر على السياسة الخارجية وهذه العلاقة غير دائمة التحقق نظرا لأبعاد أخرى تدخل فى الموضوع مثل تأثير وقرب الحكومة والرئيس من ولى الفقيه والذى قد يتعارض مع ما تروج أو ترمى إليه هذه الفئات والتيارات.

رابعا: المتغير الخارجى

يقول بيتر جوريفتيش فى دراسته المعنونة «الصورة الثانية بالاتجاه العكسى المصادر الدولية للسياسة الداخلية».

The second imagereversed: The International source of domestic politics

إن بعض السياسات الخارجية ليست تابعة لعوامل داخلية بالأساس بل إنها انعكاس للوضع الدولى الذى قد يفرض تغيرات ومؤثرات على دولة معينة ويجعلها تغير من سياساتها ومؤسساتها الداخلية ومن ثم تتغير وتتأثر سياساتها الخارجية وبمعنى آخر، يقول جوريفيتش بأن المسبب الأساسى لاتخاذ سياسة خارجية معينة لا يكون مرجعه بالضرورة أسباب داخلية كما يبدو ظاهريا بل إن مرجع هذه السياسات هو وضع دولى معين تفرضه بعض الدول الكبرى المؤثرة فى النظام الدولى الأمر الذى يخلق رد فعل لدى الدول الأخرى ويجعلها تغير من سياستها وتركيبتها الهيكلية لتفرز بالنهاية هذه التغيرات فى سياستها أو سلوكها الخارجى. وحتى تقترب الصورة أكثر إذا أخذنا مثالا الحظر الاقتصادى الذى تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية على إيران جعل الأخيرة تغير فى بعض سياساتها الاقتصادية مثل تقليل الاستيراد والبحث عن أسواق خارجية وبدائل اقتصادية من خلال إعادة هيكلة المؤسسات الداخلية وإجراء بعض التغيرات فى الترتيبات فى المؤسسات المهمة حتى لو أتى الأمر على المؤسسة العسكرية وكذلك تعديل بعض السياسات والترتيبات الداخلية ليتم تقليل تأثير الضغط الأمريكى.

ولقد تعززت الحقائق التى طرحها جورتيفيش فى الدراسات الحديثة بصورة أكثر حيث كشفت إحدى الدراسات الحديثة والتى اشترك فيها أكثر من عشرة متخصصين فى الاقتصاد الدولى إن التغيرات الاقتصادية الدولية بما فيها تلك التى تصدر على شكل ضغوط من قبل الدول العظمى تؤثر فى السياسات الداخلية بأشكال متعددة تبعا لأنواع الأنظمة ومؤسساتها الداخلية وتأتى هذه المؤثرات فى ثلاثة أنماط أساسية.

١ – خلق شكل جديد للأولويات السياسية.

٢ – حدوث ارهاصات لأزمات سياسية واقتصادية داخلية.

٣ – تقليل سيطرة الدولة على السياسات الاقتصادية الكلية.

وتقوم هذه التغيرات الداخلية والهيكلية بدورها بإفراز سياسة خارجية جديدة أو على الأقل بإعادة توجيه السياسة الخارجية Redirect of Foreign Policy أو إنها تأخذ منحنى خطرا عندما تقوم الدولة بالتصلب لسياستها الداخلية والتى عادة ما ينتج عنها حالة من عدم الاستقرار إقليميا ودوليا.

ونستطيع الاستفادة من نتائج الدراسات المشار إليها من حيث أن سياسة إيران الخارجية تتأثر بشكل كبير بالواقع الدولى ومعطياته خاصة وأن الولايات المتحدة كقوة عالمية تولى اهتماما كبيرا بإيران. كما تحاول الأخيرة أن تواجه السياسات الأمريكية فى المنطقة بسياسات أخرى مقابلة لغرض معادلة التوازن الإقليمى ويمكننا القول أن هناك علاقة جدلية بين سياسات الدولتين مما ينتج الكثير من المخرجات السياسية الإقليمية فعلى سبيل المثل تتبع الولايات المتحدة سياسة رئيسية تجاه إيران تتمثل فى الاحتواء المزدوج والتى ترمى إلى تقليص دور إيران الإقليمى خاصة من خلال فرض الحظر الاقتصادى الذى يهدف إلى إضعاف الاقتصاد الإيرانى بغية أن يتمخض عن ذلك موجة من حالة عدم الاستقرار السياسى الداخلى فى إيران وتواجه إيران هذه السياسة بمحاولة تعزيز علاقاتها الخارجية مع دول العالم خاصة فى أوروبا وآسيا والخليج؛ ومن جهة أخرى فإن إيران تتبع سياسة اقتصادية قائمة على تقليص الاستيراد وتنويع الإنتاج وتحديد صرف العملة وفى نفس الوقت تقوم بتعزيز قوتها العسكرية تحسبا لأى نزاع محتمل يقع بينها وبين الولايات المتحدة أو إسرائيل،لذلك تتبنى سياسة تحييد مواقف دول مجلس التعاون والدول العربية الرئيسية الأخرى وخاصة مصر، وفصلها عن سياسة الولايات المتحدة بعكس الأخيرة التى تسعى إلى دمج تعهداتها تجاه

دول الخليج بمدى مساندة هذه الدول لسياستها الخارجية فى الخليج وما القانون الذى أصدره الكونجرس المسمى بقانون دماتوا والذى يقضى بمقاطعة ومعاقبة أى شركة أجنبية تتعامل مع إيران ولها مصلحة فى الولايات المتحدة إلا إشارة للدول الأوروبية والخليجية لسياسة الاحتواء المزدوج وبالمقابل تقوم إيران فى الوقت الراهن بالتلميح للدول الخليجية والعربية والأوروبية والآسيوية بأن هناك الكثير من المصالح المشتركة بينها وبين إيران والتى قد تتعرض للخطر إذا انساقت لسياسة البيت الأبيض وفى نفس الوقت تصدر من طهران بين الحين والآخر تصريحات ساخنة تتصف بالعمومية تارة وبالخصوصية تارة أخرى والتعنت والمرونة بين الفينة والأخرى قد يتصورها البعض بأنها لا تتفق مع المسار الأول التعاونى التى تظهره الحكومة ولكن تجب الإشارة إلى إنه فى وسط هذا التضارب والتعقيد فى فصل ودمج القضايا السياسية تتجه إيران إلى تبنى عدة استراتيجيات قد لا تكون دول الخليج والدول العربية معنية بأى منها.

تحليل السياسة الخارجية الإيرانية

يقصد بمدخلات السياسة الخارجية الإيرانية العوامل الخمسة ومدى تأثيرها فى السياسة الخارجية وتباين هذه المتغيرات فى التأثير قد ينعكس على إجراءات اتخاذ وصنع القرار الذى يكاد يكون محصورا بالنهاية بيد ولى الفقيه ووزارة الخارجية الإيرانية التى يهيمن عليها الرئيس ووزير الخارجية وتتبنى السياسة الخارجية أربعة نماذج رئيسية هى التبنى والتحفيز الذاتى والمساومات والتصلب.

١ - استراتيجية التبنى Adaptive Strategy

تعتمد على الالتزام بالأعراف والشرعية الدولية، وقد ظهرت بوضوح فى السلوك الإيرانى الخارجى أثناء فترة الغزو العراقى لدولة الكويت حيث التزمت إيران بالقرارات الدولية الصادرة من الأمم المتحدة خاصة فيما يتعلق بتوقيع العقوبات على بغداد.

٢ - استراتيجية التحفيز الذاتى Self - Promotion Strategy

وتهدف إلى تأكيد دور إيران الإقليمى وضرورة احتسابها فى المعادلة السياسية الإقليمية الآسيوية والخليجية والعربية، وفى اطار هذه الاستراتيجية أعلن هاشمى رافسنجانى استعداد بلاده للتوسط بين أمريكا والعراق يوم ٣ فبراير ١٩٩١ وقد رفض البيت الأبيض الفكرة فى اليوم الأول.

٣ - استراتيجية المساومات The Barganinig Strategy

تدخل هذه الاستراتيجية فى صلب السلوك السياسى الإيرانى الخارجى حيث توجد مساحات كبيرة للمناورة الدبلوماسية وتهدف إلى تحقيق أعلى معدل من الربح Maximization of Interest وقد تبلورت هذه السياسة خلال فترة الاحتلال العراقى للكويت عندما استطاعت إيران إجبار العراق على الرجوع إلى اتفاقية الجزائر التى رفضها من قبل.

وفى سياق هذه السياسة تأتى دبلوماسية إيران التى سبقت اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى طهران حيث قام وزير خارجية إيران بزيارات متعددة خاصة مصر فى إشارة إلى استعداد طهران للتنازل عن سياستها المعارضة لكامب ديفيد مقابل حضور مصر القوى وإسهامها فى إنجاح المؤتمر

٤ - استراتيجية التصلب Interansigent Strategy

تهدف هذه الاستراتيجية إلى إظهار استقلالية إيران عن التبعية للغرب وخاصة الولايات المتحدة وذلك من خلال التأكيد على قوتها الإقليمية المقاومة لجميع أنواع الهيمنة العالمية على منطقة الخليج كما تركز هذه السياسة على المبادئ الرئيسية للثورة وعدم التخلى عنها. وهذه الاستراتيجية ليس لها علاقة فقط بالنواحى القانونية والدستورية وانما تمتد إلى ما يسمى بالنفسية الجغرافية السياسة عند الإيرانيين Psychogeography ذات الجذور التاريخية والثقافية وعادة ما تبدو على شكل تصريحات حادة من قبل العلماء للهجوم على الهيمنة الخارجية أو عند حدوث قضية دولية تظهر انحيازا غربيا تجاه العالم الإسلامى كما تستخدم الاستراتيجية من أجل الحشد والتجييش الداخلى والخارجى وابراز الظلم الواقع على الذات من قبل الآخرين والتى تسمى بـ Self-image Cameralism.

وهذه الأنماط الاستراتيجية الأربعة فى سياق السياسة الخارجية الإيرانية تكشف النقاب عن مدى تعقيد اجراءات صنع القرار الخارجى.

إيران وهجمات ١١ سبتمبر

أدركت إيران بعد وقوع الهجمات وتأكد النية الأمريكية فى القيام بعمل عسكرى ضد أفغانستان أنها لابد أن تكون من الفاعلين الرئيسيين فى أى عمل تقدم عليه الولايات المتحدة لعاقبة من اتهمتهم بتدبير هذه التفجيرات وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجى حيث إن لها حدودا طويلة تمتد لمسافة ٩٠٠ كم مع أفغانستان بالاضافة إلى أن لها نفوذا قويا

لدى المعارضة الشمالية المعادية لحركة طالبان وحدودا مشتركة مع الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتى السابق ناهيك عن أن إقناع واشنطن لطهران بالتعاون معها أمر له أهميته الخاصة نظرا لطبيعة التوجه السياسى للجمهورية الإسلامية الإيرانية وقد تمثل رد الفعل الرسمى الإيرانى تجاه هذه الهجمات فيما يلى:

١ – سارع الرئيس خاتمى بإدانة الهجمات بعد ساعات من وقوعها وكان ذلك لافتا على اعتبار أن الولايات المتحدة تضع إيران فى قائمة الدول الراعية للإرهاب وهو ما كان له رد فعل ايجابى لدى المسئولين الأمريكيين.

٢ – بعد أسبوع من الهجمات أعلن المرشد على خامنئى هو الآخر إدانته للحادث، وكان لهذا الإعلان قيمته الكبيرة بالنظر إلى مكانة المرشد فى النظام السياسى الإيرانى، ودل فى الوقت نفسه أن إدانة خاتمى لا تعبر عن رؤيته الذاتية وإنما تعبر عن موقف الدولة الإيرانية الرسمى.

٣ – ساد الغالبية العظمى من الصحف الإيرانية موقف الإدانة لهذه الهجمات وهو ما دل على وجود رأى عام إيرانى ضدها.

٤ – بعث عمدة طهران مرتضى الويرى ومحمد عطريان رئيس مجلس الشورى البلدى برسالة مواساة خطية إلى عمدة نيويورك، وذلك فى أول اتصال رسمى بين مسئولين فى البلدين ومع الأخذ فى الاعتبار أن القوانين الإيرانية تحرم اتصال المسئولين الإيرانيين بالمسئولين الأمريكيين فمن المؤكد أن هذه الخطوة قد تمت بمباركة رسمية.

٥ – لأول مرة منذ اندلاع الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ لا يرفع شعار الموت لأمريكا فى خطبة الجمعة المركزية فى طهران.

٦ – سمحت وزارة الداخلية لتيارات سياسية بتنظيم تجمع للتعبير عن مواساة الشعب الأمريكى فى أحد ميادين شمال العاصمة طهران.

اتخذت إيران هذا الموقف وهى تعلم أن الأمن القومى الإيرانى قد يتعرض لتهديدات جسيمة إذا قامت الولايات المتحدة بمد نفوذها العسكرى إلى حدودها الشرقية والشمالية، أى فى أفغانستان وجوارها ولكنها أرادت أن تبرئ ساحتها أولا. وفى الوقت نفسه يجب الوضع فى الاعتبار أن لدى إيران قدرات وامكانات مهمة تستطيع بها أن تتعامل مع هذا المد حال حدوثه.

وقد زاوج الموقف الإيرانى بين المرونة والتشدد فى آن واحد فقد أكد خامنئى أهمية مكافحة الإرهـاب لكنه وصف موقف الولايات المتحدة بأنه متغطرس ونابع من ماهيتها الاستكبارية والسلطوية، ورفض المنطق القائل بان الذيـن لا يوافقون أمريكا هم مع الإرهاب، وخلص إلى أن إيران لن تقدم أى دعم للولايات المتحدة وحلفائها فى الهجوم على أفغانستان. وقد اتخذ الرئيس خاتمى الموقف نفسه حيث هاجم استخدام بوش كلمة «الحرب الصليبية» وانتقد فكرة تقسيم العالم إما مع الولايات المتحدة وإما ضدها، رغم أن معلومات نشرت فيما بعد اشارت إلى أن إيران قدمت تسهيلات عسكرية للقوات الأمريكية دون توضيح ماهية هذه التسهيلات.

ولعل واشنطن كانت تدرك مسبقا حقيقة الموقف الإيرانى الذى فهمه البعض أنه قد طاله تغير عندما أسرعت طهران إلى إدانة التفجيرات فبادرت بأن تكون أوروبا الوسيط مع إيران وفـى هـذا الإطار قام وزير الخارجية البريطانى جاك سـترو بزيارة إلى إيران هى الأولى من نوعها منذ اندلاع الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ وتلى هذه الزيارة زيارة وفد الترويكا الأوروبية للعاصمـة الإيرانيـة ثم قام مبعوث خاص لرئيس الـوزراء اليابانى بزيارة خاصة إلى طهران وكان هدف كل هذه الزيارات محاولة إقناع إيران بالانضمام للتحالف الأمريكى.

علـى هذا النحـو يمكن القول أن الموقف الإيرانى كان متوازنـا فى التعامل مع الأزمة. وبعبـارة أخـرى كان على إيران أن تدين الحادث الذى ألصق بالإسـلام فور وقوعه بالنظر إلى طبيعة النظام السياسى فيها والذى يقوم على الأيديولوجيا الإسلامية وكون أن الولايات المتحدة تعتبرها دولة راعية للإهاب لكن وفى الوقت نفسـه فإن تشددها لاحقا كان ضرورة تفرضهـا اعتبارات الأمن القومى الإيرانى. وقد نشـطت إيران فـى اتصالاتها مع كثير من الدول العربية من أجل التنسـيق المشترك لمواجهة هذه الأزمة فكانت زيارة وزير الخارجية كمال خرازى إلى كل من مصر وسـوريا وعندما بدأت الولايات المتحدة فى شن حربها على أفغانستان كانت إيران أول الدول القليلة التى نددت بالحرب بل إنها اتخذت موقفا أبعد من الإدانة حينما أعلن على خامنئى المرشـد الروحى للثـورة أن الأمريكيين يروجون كذبا بأن دوافعهم لمهاجمة أفغانسـتان هى محاربـة الإرهاب إلا أن الدافع الحقيقى لأمريكا هو فرض السلطة والهيمنة.

وعلى الرغم من كل ذلك لا يمكن تجاهل مغزى سرعة إدانة إيران للهجمات فهى دون شـك توحـى برؤية جديدة للتعامل مع العالم تنطوى بالضـرورة على مراجعة ثوابت ظلت

تحكم السياسة الخارجية الإيرانية أعواما طويلة، وهو الأمر الذى يطرح للمناقشة قضية التجديد فى الساحة السياسة الإيرانية وكذا إثر هذه الأزمة على نمط التفاعل بين المعتدلين والمحافظين بخصوص التعامل مع الملف الأمريكى حيث شهدت الساحة الإيرانية تباينا واضحا فيما يتعلق بكيفية التعامل مع هذا الملف فقد ذهب تيار إلى أهمية أن تستغل إيران هذا الموقف من أجل تحقيق انفراجة فى علاقتها مع الولايات المتحدة حتى لا تتأزم الأمور بشكل أكبر مما هو قائم بالفعل ولأن إيران سوف تصبح مطوقة بالوجود الأمريكى بينما ذهب تيار آخر إلى تحسين العلاقات الثنائية بين البلدين يظل مرتبطا بضرورة مراجعة الولايات المتحدة لسياستها فى الشرق الأوسط ولكن هذا التيار لم يستنكر التعاطى الأولى من قبل المؤسسات الرسمية مع الأزمة وربما تكون هذه هى جزئية التجديد التى طالت الموقف الإيرانى تجاه العلاقات مع الولايات المتحدة.

ومن جانبه حاول التيار المعتدل توظيف مشاعر التعاطف الإيرانى غير المسبوق من قبل الشعب مع الولايات المتحدة من أجل تحقيق تقدم فى العلاقات مع واشنطن حيث قام ١٦٥ عضوا من أعضاء مجلس الشورى الإسلامى البالغ عدد أعضائه ٢٩٠ والذى يسيطر عليه المعتدلون بالتوقيع على وثيقة أعربوا فيها عن تعاطفهم مع الشعب الأمريكى وطالبوا بحملة دولية لمكافحة الإرهاب تحت مظلة الأمم المتحدة. وأدرك المحافظون هذا المخطط فسعوا إلى عرقلته لأنه يهدف إلى إيجاد حل سريع لقضية مازالت محل خلاف شديد على الساحة السياسية لغير صالحهم ولكن لم يكن فى مقدور المحافظين الشروع فى ذلك إلا بعد أن هدأت موجة التعاطف الشعبى وبات على الدولة الإيرانية أن تتعامل بشكل استراتيجى مع المضاعفات التى سوف يخلفها امتداد النفوذ الأمريكى الجديد فى آسيا على الأمن القومى الإيرانى.

المرونة الإيرانية

اشتهر الإيرانيون طوال تاريخهم بالمرونة. تداهمهم العاصفة فينحنون لها، تمر بسلام أو بغير سلام.. ولكنهم يرفعون رؤوسهم بعدها بشمم، ويستمرون فى طريق الحياة منتصبى القامة، كأن شيئا لم يحدث، وهم فى هذه السجية، أى المرونة التى تلازمهم كأنها غريزة فيهم، أشبه ما يكونون بالشعب المصرى، كما تجمعهم بالمصريين سجايا عديدة أخرى، والأدب الفارسى يفيض بالأشعار والحكم والأمثال التى تحث على المهادنة والرفق واللين والعزوف عن التشدد.. يقول حافظ الشيرازى أكثر شعراء الفارسية شعبية، ويأتى ديوانه

بعد المصحف الكريم فى تعدد طبعاته ورواج سـوقه وسـعة انتشاره. وقل إن تجد كوخا فى قرية نائية من إيران لا يحتفظ أصحابه بنسخة من ديوان حافظ الشيرازى..

يقول حافظ الشيرازى:

أسايش دوكيتى تفسيراين دوحرف.

بادوستان روت بادشمنان مدارا.

ما معناه:

إن سعادة الدارين تكمن فى تفسير هذين الحرفين:

المروءة مع الأصدقاء والمداراة مع الأعداء.

وقليلا ما تجد فى الأدب الفارسى ما يضاهى هذا الشعر العربى:

ونحن أناس لا توسط بيننا.

لنا الصدر دون العالمين أو القبر.

وإنما يقول الإيرانيون: «زمان باتونسازد توباز فانه بساز»: «إن لم تسايرك الأيام فعليك أنت أن تسـاير الأيام». ومثل هذه التعابير التى تدعو إلى المجاملة والمماشـاة تجدها على ألسنة عامة الناس فى كل مكان بين ثنايا القصص والأشعار والأمثلة الشائعة.

وكتاب «كليلة ودمنة» التى استهوى الكاتب الفارسى عبد الله بن المقفع فنقله إلى العربية مترع بالحكايات التى تحذر من المغامرة والمخاطرة.

وعبد الله بن المقفع نفسـه فى كتابيه «الأدب الكبير» و«الأدب الصغير»، يدلى بالنصائح نفسـها فيقول فى «الأدب الكبير» على سـبيل المثال ما يلى: «احترس من سـورة الغضب وسـورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل وأعدد لكل شىء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العافية وطلب الفضيلة»..

ويقول أيضاً: «ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فإن ذلك مالا يكاد يخطئك فإن الصبر صبران: صبر الرجل على ما يكره وصبره عما يحب، فالصبر على المكروه أكثرهما وأشـبههما أن يكون صاحبه مضطرا، واعلم أن اللئام اصبر أجسـادا والكرام أصبر نفوسا، وليس الصبر الممدوح بأن يكون جلد الرجل وقاحا أو رجله قوية على المشـى أو يده قوية على العمل، فإن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوبا وللأمور محتملا وفى الضر متجملا ولنفسه عند الرأى والحفاظ مرتبطا وللحزم مؤثرا وللهوى

تاركا وللمشقة التى يرجو عاقبتها مستخفا وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظبا ولبصره بعزمه منفذا».

والشعب الإيرانى الذى اعتاد أن يكظم غيظه وأن يبطن غير ما يظهر، تترسب مشاعر السخط فى أعماقه على مدى العصور إلى أن يبلغ السيل الزبى ويطفح منه الكيل، فتثور ثائرته وينفجر كالبركان وينطلق كالإعصار ولا تهدأ ثائرته حتى يحطم بعض الهياكل القائمة كما حصل فى ثورة أبى مسلم الخراسانى والثورة الأخيرة.

ومما يلفت النظر ويدعو إلى التفكير أن ثورات الإيرانيين على مدى تاريخهم السحيق فى القدم كانت تصطبغ طراً بصبغة دينية من عهد «زرادشت» إلى يومنا هذا. لقد اصطدمت الثورة الإيرانية الأخيرة التى عرفت بالثورة الإسلامية، اصطدمت بحواجز فى الداخل والخارج لم يكن بالإمكان تجاوزها لأنها كانت ذات جذور راسخة بسبب قدمها أو التصاقها بالطبيعة البشرية أو ارتباطها بالنظام الدولى المهيمن. وهنا تدخلت المرونة الذاتية الإيرانية وعملت جهدها للتطبيق بين اندفاع الثورة وصمود الدول، ونجحت تلك الموهبة «موهبة المرونة» فى التغلب على مصاعب جمة.

وكان الميدان الداخلى هو أول ميدان أثبتت فيه المرونة الإيرانية قدرتها الخارقة على التأقلم، فقد ظهرت فى مستهل قيام الثورة بوادر خلاف بين الثورة الصاعدة، والتقاليد الوطنية والقومية الصامدة، وبعد لأى جنحت الثورة لمسالمة تقاليد قديمة محببة إلى النفوس مثل عيد النوروز الذى يطل مع إطلالة الربيع «أول برج الحمل ورأس السنة الهجرية الشمسية حسب التقويم الإيرانى الموافق ليوم ١٢ من شهر مارس/ آذار» وتنفس الإيرانيون الصعداء، وكل مضى فى سبيله يخترس من الاحتكاك بالثانى التقاليد الشعبية والثورة الإسلامية.

ثم جاء دور الأعراف الدولية لتحصل على اعتراف الثورة الإسلامية الإيرانية التى كانت مترددة بقبول تلك الأعراف على علاتها. فجاءت الحرب التى فرضها العراق على إيران لتنهى حالة التردد تلك وتدفع الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى قبول الأعراف والقوانين الدولية واستخدامها لصالحها. وكان من آثار التعامل مع الأعراف والقوانين الدولية إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين فى طهران وإقامة بعض العلاقات مع المجتمع الدولى.

وتلك الحرب التى ظلت مشتعلة ثمانى سنوات ساعدت الشعب الإيرانى على أن يسترد ثقته بنفسه وأن يروض ثورته العارمة على التعايش مع الظروف الإقليمية والدولية أو بعبارة

أخرى على التسليم بالواقع دون مكابرة. فكانت النتيجة أن وقعت إيران على الهدنة مع العراق فوضعت الحرب أوزارها وتوقف هدير المدافع وأزيز الطائرات. فانتهت مرحلة حاسمة من حياة الثورة الإيرانية مع انقضاء العقد الأول من تاريخها. وكانت الحرب مع العراق بالنسبة إلى إيران أشبه شيء بمعركة «واترلو» بالنسبة إلى فرنسا. فهناك تضافرت دول أوروبا جميعها لتنزل الهزيمة بالجيش الفرنسي وبقائده نابليون بونابرت. وهنا تكاتفت دول عديدة من المنطقة وخارجها لكبح جماح الثورة الإيرانية.

وبعد انتهاء الحرب الطاحنة بدأت إيران الثورة مرحلة التطبيع العسيرة مستمدة العون من المرونة الفطرية التي يتصف بها الشعب الإيراني. وكانت تشمل هذه المرحلة معالجة المشاكل الداخلية وأهمها إعادة بناء ما دمرته الحرب الطويلة. وفي الخارج مد الجسور المقطوعة من جديد مع العالم الخارجي ليعود الشعب الإيراني إلى تبوؤ المركز الذي هو جدير به بين الأمم.

ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان وهو انهيار الاتحاد السوفيتي مما خلق بلبلة في التقديرات والحسابات الإيرانية، فإيران قد اعتادت على مدى ثلاثمائة سنة بأن تستفيد دائما من التنافس بين جارتها في الشمال وجارتها في الجنوب ففي الشمال كانت الإمبراطورية القيصرية ثم الاتحاد السوفيتي وفي الجنوب كان الإنجليز ثم انضم إليهم الأمريكيون.

وقد اختل هذا التوازن بسقوط الاتحاد السوفيتي وأصبحت إيران في مواجهة مع الغرب دون أن يكن لها صديق مساند إلا الصين وكوريا الشمالية النائيتين وإمكانياتهما محدودة ولا قيمة كبيرة لدعمهما.

فالعالم السياسي الدولي ذو البعدين الذي كانت تنعم إيران بالتنافس الواسع بين قطبيه بات ذا بعد واحد، ففي أيام ذلك التنافس أرسل الإمام الخميني أحد كبار العلماء المقربين إليه إلى موسكو محملا إياه رسالة خطية مشفوعة برسالة شفهية إلى الرئيس جورباتشوف متوسما الخير فيه عارضا عليه الإسلام. وكانت أول رسالة وآخر رسالة شخصية يوجهها الإمام الخميني إلى زعيم أجنبي. ثم يهرع الرئيس رفسنجاني وهو لا يزال رئيسا لمجلس الشورى الإسلامي «البرلمان الإيراني» يهرع إلى موسكو متأبطا طموحاته ويجلس هناك مع الرئيس جورباتشوف ويعقد عددا كبيرا من الاتفاقيات تتضمن كل ما تحتاجه إيران وفي مقدور موسكو أن توفره لها بما فيه أنواع متطورة من السلاح.

كل تلك المبادرات الضخمة يطويها سجل التاريخ وتصبح فى خبر كان، وتضحى أمريكا التى احتلت سفارتها فى طهران واهين علمها واتخذ دبلوماسيوها وموظفوها رهائن تمسى الدولة العظمى الأولى فى العالم ذات الحول والطول تجول وتصول حتى فى موسكو نفسها حاضرة الشيوعية الأولى بالأمس، لقد أسقط حقا فى يد الذين كانوا يحسبون ألف حساب لصداقة موسكو.

لقد حاولت طهران بخبرتها التاريخية فى مجالات المرونة السياسية أن تستدير أيضا فى حدود معينة مع الاستدارة الكبرى التى حدثت بغتة على صعيد السياسة الدولية، وبذلت طهران جهودا لتذليل بعض الصعوبات فى علاقاتها مع المعسكر الغربى بزعامة أمريكا ولكن البون كان شاسعا ولم تعد المياه إلى مجاريها حتى يومنا هذا.

لقد أطلق سراح الرهائن الأمريكيين فى طهران. ثم أفرج عن جميع الرهائن الغربيين فى لبنان، كذلك وافقت طهران على مضض على قبول قرار مجلس الأمن بإخماد نيران الحرب الإيرانية العراقية، ثم أبعد المتطرفون أمثال حجة الإسلام محتشمى وحجة الإسلام غفارى وحجة الإسلام خوئينى ها من ساحة البرلمان وسائر الساحات الرسمية الهامة، ولكن كل ذلك لم ينفع فى تقريب الشقة بين المعسكر الذى تقوده أمريكا وبين الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وتتوالى الأحداث وتندفع إيران على طريق المشروع النووى فتتفاقم علاقاتها مع أمريكا والعالم الغربى.

أمريكا.. والسوفييت.. وإيران

(١)

عندما التقى الجنرال ويزر الأمريكى بالشاه محمد رضا بهلوى ليطلب منه مغادرة إيران فإن ذلك كان خطوة على طريق الانتصار للثورة الإيرانية، وتنفيذا لمخططات استراتيجية أمريكية تتعلق بالمنطقة وبالصراع مع القوة العظمى الثانية وبأسلوب من أساليب التعامل مع الأصولية الإسلامية.

لنمض معا لاكتشاف الأسباب التى دفعت الولايات المتحدة للتخلص من واحد من أهم أصدقائها فى منطقة الشرق الأوسط وفتح الطريق أمام انتصار الثورة الإيرانية بقيادة آية الله الخمينى.

ومن هذه الأسباب:

أولاً: اقترب الشاه كثيرا من هدف تحويل إيران إلى قوة إقليمية عظمى وذلك يعنى اختلال التوازن فى منطقة الخليج القائم على ثلاث قوى هى العراق والسعودية وإيران.

والتحول إلى قوة إقليمية عظمى يعطى الشاه قدرة التأثير على سياسات دول المنطقة والقدرة على مساومة القوى الأخرى فى المنطقة أو القوى ذات المصالح من خارج المنطقة.

وكانت إيران قد تمكنت من بناء قوة عسكرية كبيرة تملك قدرات وإمكانات نيرانية متعاظمة، كما بدأت تحاول دخول النادى الذرى.

واستغلالا لقدراتها العسكرية احتلت الجزر العربية الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى بالخليج وأرغمت العراق على توقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ وبها حصلت على مكاسب إقليمية بمنطقة شط العرب ومناطق حدودية أخرى.

وبعد هزيمة القوات الباكستانية أمام القوات الهندية فى نهاية عام ١٩٧١ وانفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية لتصبح دولة بنجلاديش زادت قدرة إيران على المساومة وازدادت أمامها مساحة المناورة والمساومة فى ظل صداقة ودعم الصين الشعبية وتحركات الشاه لدعم باكستان فى مواجهة الهند.

واتفقت المخططات الأمريكية للتخلص من الشاه مع تطلعات مماثلة للاتحاد السوفيتى أملا فى استغلال الموقف لكسب قدر من النفوذ اعتمادا على الحزب الشيوعى القوى بإيران والسعى لاقتسام النفوذ مع الولايات المتحدة فى ظل التغيير.

ثانياً: كرس الرئيس الأمريكى كارتر نفسه خلال سنوات الرئاسة الأولى للدفاع عن مبدأ حقوق الإنسان وتوافقت هذه النزعة المثالية مع أهداف التيار الذى يرى أن الفساد فى إيران قد جاوز مداه وأن السجل المشين لاعتداءات الشاه ونظامه على حقوق الإنسان الإيرانى قد تضخم بشكل مبالغ فيه.

وكانت نذر الثورة ماثلة أمام المخططين الأمريكيين وكان من الممكن أن يتم التخطيط لتسليم الحكم إما للعسكريين عبر انقلاب عسكرى أو للقوى السياسية المعتدلة المتحالفة مع تجار البازار.

ولكن كانت هناك اتجاهات داخل دائرة صناع السياسة للعدول عن نهج تسليم الحكم للعسكريين بعد فشله فى دول كثيرة، وكان تقدير معظم المسئولين أن القوى السياسية

المعتدلة لن تتمكن من وقف التيار الثائر والمتنامى للإسلام السياسى فى إيران الذى يمثله ويقوده آية الله الخمينى.

ووجدت فكرة تسليم الحكم لآيات الله مساندة قوية ودعما من الفريق الذى يرى أن تسليم السلطة للإسلاميين هو أفضل طريق لتحجيمهم أو لتقزيمهم وبالتالى إحباط الآمال المعلقة عليهم لإنقاذ البلاد من الحاضر المتردى.

وأفكار هذا الفريق تدور حول عجز الإسلاميين السياسيين فى إيران وعدم قدرتهم على تحقيق تطلعات الجماهير الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

ومع قدر معقول من الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية المتواصلة والمتصاعدة سيدرك هؤلاء الحكام حقيقة قواعد اللعبة على المسرح الدولى والمسرح الإقليمى وبعد سلسلة من المصادمات فى الداخل والخارج تمتص حماسهم وتنهكهم وتستنزف قواهم وتعرقل مسيرتهم وتربكهم سيضطرون للتعامل مع الواقع والتخلى عن الشعارات والأهداف الرومانسية.

مثل هذا التراجع كفيل بالحد من شعبيتهم لا فى إيران فقط بل فى العالم الإسلامى الذى بدأ يشهد منذ النصف الثانى من ستينيات القرن الماضى يقظة إسلامية وقوى إسلامية تبحث عن طريق.

ثالثا: منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والولايات المتحدة تحاول بإصرار اختراق الأسوار الحديدية للاتحاد السوفيتى لتخريبه من الداخل وخلق قلاقل واضطرابات تستنفد قواه وتنهك جسده وتعرقل مسيرته كقوة عظمى.

ومساعدة الولايات المتحدة للثورة الإيرانية كانت واحدة من أهم محاولات حفز القوميات الإسلامية التى تعيش فى المناطق الجنوبية للاتحاد السوفيتى للانتفاض أو للتململ على أقل تقدير.

فالمسلمون فى هذه الجمهوريات والمنتشرون على شكل قوس يمتد من بحر قزوين غربا حتى حدود الصين شرقا تعرضوا للقهر وموروست ضدهم أكثر إجراءات الحصار والقمع والتصفية قسوة سواء تحت حكم القياصرة أو حكم الشيوعيين ولم تتوقف الإجراءات عند حدود البشر بل امتدت لتشمل الدين الإسلامى.

ورأت الإدارة الأمريكية أن دعم الثورة الإيرانية الإسلامية سيؤثر إيجابيا على القوميات الإسلامية التى تعيش على الجانب الآخر من حدود إيران الشمالية بل يمكن للثورة أن تلعب

دورا كبيرا فى دفع هذه القوميات لخوض تجربة تحدى السلطات بصورة فعالة. كما يمكن أن تكون الثورة لا جسرا تعبر عليه الأفكار والمبادئ فقط بل يمكن أن تعبر من فوقه الأسلحة والمعدات والتمويل أيضا.

رابعا: كان وثوب الشيوعيين على الحكم فى أفغانستان خطوة رأت فيها موسكو الكثير من الإيجابيات فمن أفغانستان يمكنها الاقتراب من منابع النفط فى شبه الجزيرة العربية ومن الخليج الذى يعد من أهم ممرات البترول فى العالم. وبالاقتراب من حدود إيران من ناحية الغرب ومن حدود باكستان بشكل مباشر يمكن لموسكو ممارسة قدر أكبر من التأثير على معادلات توازن القوى فى المنطقة خاصة أن لأفغانستان حدودا مشتركة مع الهند الصديق الآسيوى الكبير.

أى أن أفغانستان ستدعم محور موسكو نيودلهى والامتداد جنوبا سيوفر مزيدا من الأمن للمناطق الجنوبية للاتحاد السوفيتى.

وكل هذه العوامل ستؤدى إلى زيادة حجم الدور السوفيتى فى المنطقة.

ولإحباط المخططات السوفيتية اندفعت الولايات المتحدة لدعم المجاهدين الأفغان بكل قوة لمقاومة الحكم الشيوعى وقدرت واشنطن أن اقتراب الحكم الشيوعى فى أفغانستان من الانهيار يمكن أن يؤدى إلى تدخل السوفييت مباشرة للحيلولة دون هذا الانهيار، وقتها يمكن تحويل أفغانستان إلى فيتنام سوفيتية بكل ما يترتب على ذلك من نزيف اقتصادى وبشرى واجتماعى ومعنوى وقد سارت الأحداث وفقا لهذا التصور..

ومساندة أمريكا للثورة الإيرانية لم تكن سوى خطوة لتحقيق هذه الأهداف الاستراتيجية ويمكن القول إن هذه الخطوة حققت الكثير.

(٢)

فى مثل هذه الأيام منذ أكثر من ثلاثة عقود وفى شهر الثلج الإيرانى «بهمن» (من ١٢ كانون الثانى/ يناير إلى ١٢ شباط / فبراير)، حيث تصل البرودة فى بعض مدن البلاد إلى ٥٢ درجة تحت الصفر كانت حرارة الإيرانيين وصلت إلى أوجها لتصبح قادرة على صهر أقوى ترسانة عسكرية فى الشرق الأوسط آنذاك وتعطيلها. فاتحة الباب أمام عهد جديد من الكفاح المستمر من أجل إعادة صوغ هوية المجتمع والدولة الإيرانية الحديثة على أسس مختلفة تماما عما عهده العالم من بلاد فارس.

قد توافق ذلك الرجل الثمانينى أو تخالفه الرأى حول نظرته للسياسة والحكم والسلطة، وعلاقة كل ذلك بالدين والفكر والفلسفة. لكن ما قذفه من حجر كبير فى مياه «الفكر الدينى» الراكدة آنذاك، لاسيما فكر المدرسة الشيعية الفقهية التقليدية، كان بمثابة الزلزال الذى لم تنته آثاره بعد رغم مرور أكثر من ١٣ عاما على ذلك الحدث المثير للجدل على أكثر من صعيد، إنه فكر الإمام روح الله الموسوى الخمينى.

طهران المصرة اليوم أكثر من أى وقت مضى على المحافظة على كل ما أنجزته منذ ١٣ عاما حتى اليوم. ترى نفسها مطالبة بـ «تغيير» و«إصلاح» كل ما لديها على قاعدة مختلفة تماما عن القاعدة الإيديولوجية الدينية التى ارتأتها عقيدة لها فى الفكر والسلوك والممارسة السياسية.

فطهران «الخمينية» لا يمكن لها أن تتصور ولو للحظة واحدة بلادها وقد أصبحت جزءا من «شرق أوسط كبير» تعد له واشنطن منذ ١١ أيلول «سبتمبر» ٢٠٠١ ولا تقبل الخروج عليه من قبل أحد أياً كان وإلا اعتبر دولة «مارقة»!

الفرق بين طهران قبل ١٣ عاما وطهران اليوم شاسع وكبير. كل همومها واهتماماتها تغيرت وأخذت لونا وشكلا ومضمونا جديدا اعترفت به واشنطن أم لم تعترف. فطهران التى لا تزال «خمينية» رغم كل التحولات الداخلية وعصر الإصلاحات والتغيير فى السياسات ترى. فيما ترى. أن من حقها المشروع أولا قبل كل شىء أن تنال «اعتراف» العالم بها، لا سيما من جانب ما يعرف بالعالم الغربى وتحديدا الولايات المتحدة. بأنها أى طهران دولة مستقلة ذات نموذج فى الحكم يعتبر خطا ثالثا أو خيارا ثالثا هو خيار الجمع بين الدين والديمقراطية على الطريقة الإيرانية. بالمقابل فإن واشنطن التى صنفت «طهران» عضوا فى محور الشر العالمى. ترى فيها عقبة كأداء أمام رياح الإصلاح والتغيير المقبلة من العالم «الحر» وبالتالى لابد من ممارسة كل أشكال الضغط عليها لتغيير سياساتها ونهجها فى الحكم أيضا باعتباره نهجا من زمن «الطغيان» الذى يجب تجاوزه بسرعة متناهية!

هاتان النظرتان المتقابلتان تجعلان من المستبعد. إذا لم يكن من المستحيل. التوافق بين طهران الحالية مع واشنطن الحالية حول الكثير من القضايا الساخنة والملفات الشائكة، وفى مقدمتها فلسطين والعراق وأفغانستان، ناهيك عن الملف النووى الإيرانى الذى تعتبره طهران مفتاح استقلالها. فيما تعتبره واشنطن مصدر قلق للعالم أجمع!

وبينما تعمل طهران عبر قناة الحوار والمفاوضات الشاملة مع الأوروبيين على إقناع العالم بضرورة «الاعتراف» لها بحقها فى الحصول على التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية باعتبارها الوسيلة الأكثر قبولا والأقل كلفة للتوصل إلى تسوية منطقية ومعقولة بينها وبين العالم الخارجى يضمن لها استقلاليتها وحقا فى الاختلاف، تسعى واشنطن جاهدة إلى الدفع بالأوروبيين إلى «التلويح» بالعصا الغليظة إلى جانب «الجزرة» الأوروبية بهدف إجبار طهران على وقف مشروعها النووى!

الأوضاع المتقلبة فى كل من العراق وفلسطين ولبنان وسوريا حيث يوجد الأمريكيون والإيرانيون فى درجات متفاوتة من النفوذ والتحالفات المعقدة يمكن لها أن تدخل كعوامل قوية على خط «الاستقطاب» أو «الانفراج» فى الأزمة المفتوحة بين واشنطن وطهران.

طهران الدولة والثورة تبحث الآن عن «اعتراف» لها بأنها خيار ثالث خارج على ثنائية إما «الحتمية التاريخية» الماركسية أو «نهاية التاريخ» الليبرالية.

حدثت موجة هائلة من التعاطف مع إيران فى الولايات المتحدة عندما عرضت شاشات التليفزيون مشاهد للشباب الإيرانيين يوقدون الشموع بوسط طهران تعاطفا مع ذوى ضحايا هجمات ١١ من سبتمبر التى تعرضت لها نيويورك وواشنطن، وقد لاحظت جريدتا «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» أن إيران كان البلد الإسلامى الوحيد الذى عبر الشعب فيه عن تعاطفه الهائل مع الأمريكيين فى أحلك ساعاتهم. وقد أضفى خاتمى مزيداً من الوضوح على رسالته عندما قام بزيارة «موقع الكارثة» فى نيويورك.. تلك كانت لحظة تمثل الكثير. إن إيران تقف إلى جانب الولايات المتحدة فى رفضها لجريمة فظيعة ضد الإنسانية، ومع ذلك وبشكل مفاجئ، قرر شخص ما فى طهران أن أى تحسن فى العلاقات الإيرانية الأمريكية قد يعنى نهاية الخمينيين، وبشكل عاجل نظم البعض ما يسمى بـ «معرض لجرائم أمريكا» فى طهران وأصدر تعليماته بحرق العلم الأمريكى فى أنحاء البلاد وهو أسلوب جرى التخلى عنه بهدوء منذ عام ١٩٩٨.

وقد ازدادت الأمور تعقيدا إبان حرب أفغانستان. فبينما تعاون «الجانب الحكومى» التابع لخاتمى مع الأمريكيين ضد حركة طالبان، كان «جانب آخر من الحكومة» مشغولا بتسليح زعماء الحرب المعارضين لأمريكا فى غرب أفغانستان وشمال غربها.

سلوك إيران ساعد الأجنحة المعادية لإيران فى واشنطن فى حملتها ليس فقط ضد الملالى بل أيضا ضد الدولة الإيرانية وبعدما كانت قد ابتعدت عن كونها من «الدول المارقة»، باتت

الجمهورية الإسلامية واحدة من أعضاء «محور الشر» كما طرح الرئيس الأمريكى جورج بوش. وكل هذا كان يمكن أن يظل عبارة عن حرب كلمات لو لم يتم الكشف عن أن إيران تعد من بين الدول التى قد تقوم الولايات المتحدة باستخدام الأسلحة النووية ضدها. وللتأكيد فإنه لا يوجد سبب يدعو الولايات المتحدة للهجوم على إيران اليوم أو لاحقاً. لكن حقيقة أن إيران جاءت ضمن القائمة تستوجب أن يعيد زعماء إيران حساباتهم المتعلقة بجزء من تراث الخمينيين.

فعندما استولى من أطلق عليهم «الطلبة» على سفارة الولايات المتحدة فى طهران أكد الخمينى لهم أن «الأمريكيين لا يمكنهم أن يفعلوا شيئاً»، وذلك الشعار ما يزال مرفوعا على جدران طهران، وقد استخدمه الرئيس السابق رفسنجانى.

وخلال عام ١٩٨٧ قامت البحرية الأمريكية بإغراق أكثر من نصف الأسطول البحرى الإيرانى وعطلت جزءا مهما من إنشاءات النفط البحرية الإيرانية. وقد قرر الخمينى عدم إثارة المسألة حتى لا يخسر ماء وجهه، بعدما ثبت أن أمريكا كانت قادرة على فعل شيء ما. وقد اضطر بعد أشهر قليلة لاحقة إلى شرب «كأس السم» عندما اضطر إلى وقف إطلاق النار مع العراق وإنهاء الحرب التى بدأت عام ١٩٨٠ واستمرت حتى عام ١٩٨٨، وبذلك تخلى عن وعوده أو أوهامه بغزو بغداد والاتجاه لتحرير القدس من أيدى قوات الاحتلال الإسرائيلى.

موسكو وواشنطن على طريق مواجهة الثورة

نجحت الثورة الإيرانية وسيطرت على مقاليد الأمور باقتدار وبدأت تشق طريقها الخاص بعيدا عن حسابات الآخرين ومخططاتهم ومصالحهم.

وكان منطقياً أن تفجر الثورة براكين الغضب الجماهيرى ضد الشياطين الكبرى والصغرى، وتولدت موجات عاطفية عاصفة دفعت بالثورة عن طريق الصدام مع القوى العالمية والإقليمية.

وأعادت القوى المختلفة حساباتها على ضوء المتغير الثورى الجديد بكل ما يمثله من خطر على الحضارة الغربية والمصالح الاستراتيجية للغرب والمخاطر الأمنية التى تتعرض لها المناطق الجنوبية للاتحاد السوفيتى التى تضم القوميات الإسلامية بالإضافة إلى تأثيرها فى الحكم الشيوعى بأفغانستان.

وعلى ضوء هذه الحسابات بدأت تخطط لمواجهة الموقف أو المواقف الجديدة.

وكان القادة السوفييت هم الأسرع فى رد الفعل أو فى العمل المضاد للثورة ومخططاتها. واستقرت القيادة السوفيتية على المخاطرة بغزو أفغانستان ومساندة الحكومة الشيوعية العميلة بعد التصفيات المتتالية لأجنحة الحزب الشيوعى الأفغانى، وتعاظم نشاط المقاومة الأفغانية. وفى نهاية ديسمبر ١٩٧٩ أى فى نفس العام الذى سيطرت فيه الثورة على مقاليد الأمور فى إيران اخترقت القوات السوفيتية الحدود فى عمل غير مسبوق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فقد التزم السوفييت سياسة عسكرية دفاعية منذ عام ١٩٤٥ ولم يخرجوا للغزو إلا فى نهاية عام ١٩٧٩ لغزو أفغانستان.

وكان فى تقدير السوفييت أن الوجود العسكرى السوفيتى فى أفغانستان المجاورة لإيران من ناحية الشرق. سيدفع القادة الإيرانيين إلى العمل بالمسرح الأفغانى بشكل يمتص قدرتهم على العمل بشكل فعال فى الجمهوريات الإسلامية بالمنطقة الجنوبية للاتحاد السوفيتى. أما الغرب بقيادة الولايات المتحدة فقد آثر أن يشعل حرب تدخل ضد الثورة الإيرانية وكان العراق كدولة مسلمة وجارة ومعرضة للأطماع الإيرانية. بالإضافة إلى المشاكل المتفجرة بين البلدين خاصة المتعلقة بالحدود وإحساس القادة العراقيين بالظلم الذى تعرضوا له أثناء توقيعهم لاتفاقية عام ١٩٧٥ بالجزائر. هو المؤهل بشكل جيد للقيام بهذا الدور. وبذكاء ودهاء وبكثير من المرونة جرى دفع العراق لخوض تجربة الحرب مع إيران. وكان الأمر يتطلب إمداد العراق بكميات ضخمة من الأسلحة وعزفا مستمرا على أوتار انهيار القوة العسكرية الإيرانية سواء بالتصفيات الجسدية للقادة والضباط أو بعزلهم أو بوضعهم داخل السجون أو بعدم وجود قطع غيار. وغياب الصيانة بشكل فعال وعدم صلاحية الكثير من الأسلحة أو نتيجة عجز آيات الله عن إدارة الحرب الحديثة أو ضعف تسليح الحرس الثورى الذى تعتمد عليه الثورة أساسا.

ومثل هذه المعلومات التى ظلت تتردد على امتداد عامى ١٩٧٩، ١٩٨٠ بشكل مستمر كانت ضرورية لتتصور القيادة العراقية أن عراق الـ ٧١ مليون نسمة قادر على مواجهة إيران الـ ٥٠ مليونا ليس ذلك فقط بل هو قادر على الانتصار واستعادة حقوقه وفرض إرادته على القيادة الإيرانية، والأهم هو خروجه من الحرب كقوة مرهوبة الجانب قادرة على التحول لقوة إقليمية عظمى لها كل التأثير على الخليج والدول العربية المطلة على شاطئه.

واستعدادا لهذه الحرب اتخذ العالم الغربى مجموعة من الإجراءات من أهمها زيادة المخزون الاحتياطى من البترول خلال ربيع وصيف وخريف عام ١٩٨٠ من ٦٠ يوما إلى ٩٠

يومـا، بـل وصل المخزون فى بعض الدول إلى ١٨٠ يوما. وأخيرا ابتلع العراق الطعم وأطلق الحرب من عقالها فى سبتمبر ١٩٨٠.

ولم يكن ابتلاع العراق للطعم سذاجة سياسية أو غفلة، أو لمجرد أن الغرب أراد فنفذ له ما يريد.. أبدا فقد كانت للعراق أطماع تتجاوز إمكاناته وتصور أن العمل فى إطار مخططات الغرب، خاصة الولايات المتحدة سيتيح له تحقيق هذه الأطماع أو قدر منها.. وستمنحه الحرب ومتطلباتها الفرصة لتنمية إمكاناته وقدراته العسكرية سواء بالاستيراد أو بالمضى قدما على طريق التصنيع الحربى وهذه التنمية هى الطريق لبناء ترسانة عسكرية هائلة. وخوض الحرب ضد إيران، أى خوض تجربة حرب تدخل ضد الثورة هى المدخل لإستعادة عربستان «خوزستان» عربية مرة أخرى، وكانت عربستان عربية وآخر حكامها الشيخ خزعل قبل أن تستولى عليها إيران.

وبالمثل كان الساحل الشرقى للخليج أى الامتداد الجنوبى لعربستان «خوزستان» يحكمه «القواسم» أبناء عمومة حكام دول قائمة على الساحل الغربى للخليج.

وإعادة عربستان عربية ومناطق أخرى على الساحل الشرقى للخليج ليس أكثر من الخطوة الأولى لبناء إمبراطورية عراقية تعيد أمجاد الإمبراطورية العباسية، وتعيد لبغداد مكانتها كمركز للعالم العربى.

وإذا كانت عربستان هى الخطوة الأولى فإنها تعطى للعراق ميزات عسكرية عندما يحين موعد الوثوب على مناطق أو دول من شبه الجزيرة العربية. هكذا كان يفكر حاكم العراق، أو هكذا كان يحلم. وتصور أن المخططين الغربيين تسيطر عليهم حالة من البلاهة وأنهم غافلون عن أطماعه أو على الأقل لن يقفوا فى طريقها لمجرد أنه يخوض حربا ضد الثورة الإيرانية بالنيابة عنهم.

المهم.. أن الغرب نجح فى خطته التى أدت إلى استنزاف حيوية الثورة واندفاعها وأجبرها على الانكفاء داخليا والالتزام بتوجيه كل الطاقات للحرب. بكل ما ترتب عليها من استنزاف الموارد الاقتصادية والبشرية. وبدء تحول الخلافات فى الرأى بين المثاليين والمعتدلين والمتطرفين إلى عمليات تصفية جسدية.

تطلعات إيرانية

بعد أكثر من ثلاثة عقود على المحاولات الإيرانية لنشر المذهب الشيعى الاثنى عشرى فى ربوع العالم العربى والإنفاق شديد السخاء والحملات الإعلامية المكثفة وانتشار الآلاف

من الدعاة المدربين والمتسيسين والتركيز على أوجه القصور وانتشار الفساد والإحباط السائد وتراكم المشاكل هنا أو هناك، تبين الجميع أن الأبواب موصدة وأن حجم الذين غيروا مذهبهم وانضموا إلى المعسكر الشيعى لا يتناسب إطلاقا وكل هذه الموجات الهجومية التى استهدفت زعزعة الاستقرار وكسب الأنصار أو ما تم من عمليات تصدير لمبادئ الثورة.

وأوضحت الدراسات أن مساعى نشر الثقافة الإيرانية والترويج لها بين صفوف المسلمين السنة كانت غير مجدية ومخيبة لآمال وطموحات الملالى وتطلعاتهم.

ومن المؤكد أن هؤلاء الملالى قد نسوا ما جرى من تباعد بين العرب والفرس طوال القرون التى أعقبت غزو فارس وضآلة حجم الثقة وعمق الهوة بين الثقافتين، لقد أرادوا القفز فوق تاريخ من الشكوك والمؤامرات والدماء، فلم يحصدوا سوى الفشل.

ولم يحاول زعماء إيران الجدد أن يطرقوا أبواب حسن النية ومحاولة كسب ود مسلمى العالم العربى السنة وإبداء ولو قليل من مؤشرات الثقة لتمهيد الطريق، ولقد كان ذلك ممكنا إلا أن الأمر بهذه الصورة لم يكن مطروحا أبدا فليس من بين زعماء الثورة من فكر مثلا فى فتح الأبواب للتوصل إلى حل للجزر الثلاث التابعة لدولة الإمارات والتى سبق لإيران الشاه احتلالها.

لقد بدا الأمر وكأن طريق الثورة هو الطريق الذى سيقود المنطقة إلى غد أفضل، وأن انتشار النفوذ الإيرانى ومبادئ الثورة والمذهب الشيعى هى العناصر الرئيسية للنهضة روحيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا.

ولم يتنبه الملالى الحكام إلى أن الأخطاء التى وقعوا فيها خلال اندفاعهم لتصدير مبادئ الثورة قد أدت إلى زيادة حجم شكوك الملوك والأمراء والرؤساء العرب فى النوايا الإيرانية وانحسار الثقة فى الطبقة الحاكمة فى طهران.

وفيما توالى طهران انتهاج سياسة خارجية تقوم على المواجهة لتحقيق الهدف من برنامجها النووى بدعوى أن القنبلة الإيرانية الإسلامية ستتيح توازنا استراتيجيا للقوة فى الشرق الأوسط، يبدى قادة الدول العربية والخليجية، ضيقا إزاء احتمالات امتلاك إيران سلاحا نوويا، فهم يرون أنه سيهدد استقرار الخليج وأمن العالم العربى.

وتأتى مساعى الهيمنة الإقليمية من جانب إيران فى وقت خلص فيه مخططوها الاستراتيجيون إلى أن المرحلة مناسبة لبسط النفوذ الإيرانى على الشرق الأوسط بأسره، فالعالم العربى يمر بأضعف حالاته، تمزقا وتفككا وترديا فى العلاقات العربية العربية.

وما لم تتمكن «الجمهورية الإسلامية» من تحقيقه بعصا التحالفات والتسليح وتوحيد الرؤى الاستراتيجية «سوريا، حماس، حزب الله» تسعى إلى بلوغه من خلال سياسات الهيمنة الناعمة. عبر توسيع خدمات المراكز الثقافية والدينية التابعة لسفاراتها فى العواصم العربية «السودان، لبنان، مصر».

وإذا تقاطعت مواقف دولة عربية مع المخططات الإيرانية فإن طهران مستعدة للتسلح بسياسة «النَفس الطويل» لتنفيذ دبلوماسية ناجعة تبقى معدلات توتر مرتفعة فى العلاقات الثنائية، لكنها لا تسمح ببلوغ حد الصدام والحرب، تلك هى تماما حال العلاقات الإيرانية مع مصر. وإلى حد ما السعودية، والثابت أن إيران حاولت الانضمام إلى مجلس التعاون الخليجى. وشاركت أطراف فى تهيئة ظروف تهيئ لإيران الحصول على مبتغاها، غير أن زعماء دول المجلس وقفوا بصلابة ضد أى «هيمنة» يمكن أن تتخذ واجهات عدة. ولم تظفر الجمهورية الإسلامية بما تريد، لكن نجاحها فى استمالة بعض الأطراف خلف صدوعا لا تخفى فى جدران التحالف الخليجى.

ويرى سياسيون عرب أن ما يثير قلق الحكومات العربية ليست مساعى الهيمنة السياسية والعسكرية الإيرانية. فطهران تدرك أنه حتى لو كانت الأنظمة العربية ضعيفة وعاجزة ومتشرذمة، فإن طبيعة النظام العالمى ليست فى مصلحة الأهداف الإيرانية. فقد خسرت حربها مع العراق فى عهد صدام حسين. ولم تربح العراق بأكمله بعد سقوط صدام حسين. ولم تنجح حرباها بالوكالة فى جنوب لبنان «٢٠٠٦» وغزة «٢٠٠٩». غير أن ما يثير قلقهم هو «الجسارة» الإيرانية فى فرض الهيمنة بأساليب «ناعمة» تكتفى بترسيخ التأثير الثقافى والمذهبى والمادى، وقد وصفت بـ«الجسارة» لأن إيران ماضية فيها بروح من يسابق الزمن لتحقيق أهدافه القصوى.

وتشمل أساليب «الهيمنة الناعمة» فى الدول العربية زرع خلايا مذهبية نائمة وفاعلة فى البلدان العربية. وفتح المراكز الثقافية والمعاهد التعليمية الدينية، وإنشاء المكتبات والمدارس، وتشجيع قيام جمعيات للصداقة الإيرانية العربية. واستخدام القدرات الاقتصادية والتجارية للتغلغل فى النشاط الاستثمارى.

وما يثير قلق الساسة العرب تجاه إيران دعم الحركات الإسلامية السياسية فى بلدانهم. إذ أن طهران كانت تقف وراء الجبهة الإسلامية للإنقاذ المحظورة فى الجزائر، كما أن

تعاونها مع الجبهة الإسلامية القومية فى السودان أثار اتهامات كثيرة وجهت إلى الخرطوم فى مطلع تسعينيات القرن الـ ٢٠. وبلغت الاتهامات طور الزعم بوجود مقاتلين إيرانيين فى صفوف القوات الحكومية التى قاتلت المتمردين فى الجنوب. ولفت عضو المجلس الوطنى «البرلمان» الجزائرى عبدالرحمن سعيدى إلى أن إيران تعمل على تنفيذ مشروع «حزب الله المغاربى» الذى يستهدف تونس والمغرب والجزائر. وتتردد معلومات عن حملة إيرانية فى نيجيريا تتخذ طابعا مذهبيا.

وإيران من خلال تحالفها مع «دول المانعة» تحرض على منازلة أمريكا وإسرائيل فى كل مكان. ولكن ليس على أرض إيران. وفى حالتى لبنان وغزة تتجرع الشعوب العربية مزيدا من المرارات والانكسارات والإبادات التى يسارع إعلام «محور طهران» إلى وصفها بالانتصارات.

فى ظل ذلك «التماهى» مع الاستراتيجيات الإيرانية، تعمق الشقاق بين الدول العربية، وأظهرت دول «المحور» اتجاها ثابتا لإلقاء التبعة على بلدان عربية محددة واقتداء بسياسة «تلازم المسارات» التى التزمها الحليف السورى لإيران. واصلت الأخيرة تلازم مسارات الاستهداف، بتصعيد خطير ضد مصر. ولم تكتف طهران باستخدام حركة حماس الفلسطينية، بل جرت معها دولتى «المانعة» إلى الحملة على مصر.

وتجد دول الخليج العربية نفسها محاصرة بمقدار من التهديدات أكبر مما تواجهه الدول العربية الأخرى التى تستهدفها السياسات الإيرانية. إذ ترى الدول الخليجية أنها ستكون ضحية أولى للطموحات النووية الإيرانية. وليس خافيا مطمع إيران فى هذه المنطقة الاستراتيجية الغنية بالموارد الحيوية. فهى تحتل جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة. واعتبرت إحدى الدول الخليجية محافظة تابعة لها. ولها فى العراق تدخلات نجحت فى تقويض أمنه.

وتجمع دوائر سياسية فى بلدان الخليج على أن صد التغلغل الإيرانى يتطلب حكمة وبراعة. ولكن ليس تأنياً، لأنه يترافق مع الهجمة الإسرائيلية التى لا تزال الهم الأمنى الأول فى الاستراتيجية العربية. وينعقد الإجماع فى هذه الناحية على أن التغلغل الإيرانى وبسط النفوذ إذا لم تتخذ إجراءات «صارمة» لكبحهما، سيكونان أكبر مهددين للأمن القومى العربى والإقليمى. وكتبت صحيفة «ديلى تلغراف» فى يونيو ٢٠٠٨ أن اتفاقية

وقعتها إيران مع دولة عربية مجاورة لمصر تسمح لطهران بنشر صواريخ باليستية فى قاعدة عسكرية قرب عاصمة تلك الدولة بما يهدد فى شكل مباشر أمن السعودية ومصر، كما أن إيران تسعى إلى مد نفوذها إلى أفريقيا المسلمة ذات الوشائج التاريخية مع العرب «نيجيريا، السنغال، تنزانيا، كينيا، النيجر».

وفى المعلومات أن قادة عرباً يرون أن تتجه النية إلى تنفيذ حازم لخطوات لم يكشف النقاب عنها لإحباط التغلغل الإيرانى، من دون أن يرافق ذلك تصعيد إعلامى.

ويزيد المهمة صعوبة أمام القادة العرب أن إيران لم تستغل الغفلة العربية وحدها للتغلغل فى مفاصل المجتمعات العربية، إذ أنها استفادت أيضا من أخطاء السياسة الأمريكية خصوصا فى العراق، وظلت إيران تستغل الانحياز الأمريكى السافر لإسرائيل لاستمالة قلوب العرب. وهو ما سمته صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور «الأمريكية» سرقة المفاتيح العاطفية للشارع العربى».

ويرى البروفيسور بارى روبن أن إيران تعمد إلى بسط نفوذها من خلال ثلاث أدوات رئيسية هى: الدعاية والتحريض، ودعم الجماعات الموالية لإيران، وتخريب قوة الدولة المستهدفة، ويشير إلى أن طهران تدعم حالياً جماعات متمردة فى أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين وأن مكاسب الاستراتيجية الإيرانية تتجلى بأوضح مظاهرها فى أن أبرز حركتين حليفتين لطهران هما «حزب الله» اللبنانى وحركة «حماس» فى فلسطين، وذلك لا يعنى أن طهران تهيمن على هذين التنظيمين هيمنة تامة تملى عليهما كل خطوة يتخذانها. لكنها تتولى تمويلهما وتسليحهما وتدريب مقاتليهما، ما يتيح لها التأثير عليهما.

ولاحظ روبن أن إيران لم تتعظ من فشل لجوئها إلى القوة حين خاضت حرب السنوات الثمانى (١٩٨٠– ١٩٨٨) ضد العراق، ويبدو أنها تستهين بالاحتمالات المؤكدة لأى تدخل عسكرى غربى فى حال تدخلها فى أى دولة عربية أو إسلامية، ووجدت فى نفسها ثقة متنامية بعد الكشف عن قيامها بتطوير برنامجها النووى لانتهاج سلوك أكثر جرأة وخطورة، خصوصا سلسلة التصريحات «النارية» التى دأب أحمدى نجاد على إطلاقها.

ويخشى المحللون الغربيون أن تحقق إيران حلمها بامتلاك السلاح النووى لتستخدم حلفاء لها فى شن هجمات تستهدف المصالح الغربية والدول العربية المعتدلة التى ترفض الهيمنة الإقليمية الإيرانية، ويحذر البروفيسور روبن من أن إيران «إذا أنجزت ما تريده فستعيق أى فرصة لتسوية سلمية فى المنطقة، وستدفع بها إلى إراقة دماء قد تستمر عقودا».

ويـرى المعلـق الأمريكى «بول أولتى» أن اتخاذ إجراء ضـد نزعة الهيمنة الإيرانية «من مصلحـة العـالم الحر بأكمله. لأن إيران تحلم باسـتعادة مجـد وأراض فقدتها منذ القرن التاسع عشر. فهى تريد استعادة المقاطعات الغربية فى باكستان «الحدود الشمالية الغربية وبلوشسـتان» التى يتحدث غالبية سـكانها من البشتون والبلوشـيين اللغة الفارسية، كما تتطلع إلى اسـتعادة رقعة واسـعة فى منطقـة القوقاز ضمتها الإمبراطورية الروسـية خلال القرنين الـ ١٨ والـ ١٩، كما تتطلع إلى استعادة أراضى «أذربيجان وأرمينيا».

ويعتبر الإيرانيون أن جورجيا التى كانت محافظة فارسـية فى عهد الساسانيين يجب أن تعـود إلى أحضانهم، أما العراق فهو أصلاً جزء مما كان يسـمى إيران الكبرى.. ويقول «أولتى» إن إيران تدرك أنها لن تسـتطيع تحقيق مطامعها التوسـعية فى آسـيا الوسـطى وباكسـتان وأفغانستان لأن روسـيا والنظام العالمى الجديد لن يسمحا، لكنها تشعر بأن فى استطاعتها إحراز تقدم على جبهة الشرق الأوسط، خصوصا البلدان العربية.

وهناك بعد آخر لقضية التوسـع الإيرانى على حسـاب العالم العربى أشار إليه «تريت بارسـى» مؤلف كتاب «التحالف الخائن: الصفقات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحـدة» (منشـورات Triliteral الولايـات المتحـدة ٢٠٠٧) حيث يقـول: إن العوامل الجيوسياسية وليس الأيديولوجية تحكم العلاقات بين الدول الثلاث، ولذلك فإن حلا يتم التفاوض عليه للتنافس الاستراتيجى بينها سيكون من شأنه تسهيل حل نزاعات المنطقة.

ويشـدد المؤلف على أن التنافس بين إيران وإسـرائيل ينصب على الهيمنة على العالم العربـى، ويؤكـد أن التنافس لم يبدأ غداة الثورة الإسـلامية فى ١٩٧٩، بل هو اسـتمرار لعهد الشـاه، لذلك تشعر إيران بأن مصيرها العزلة إذا هيأت الظروف لإسرائيل صلحا مع خصومها العرب، ويفسر ذلك معارضة طهران الدائمة لأى تسوية بين العرب وإسرائيل.

ويرى «بارسـى» أن إسرائيل تخشى الورقة «الإسـلامية» التى تلوح بها إيران وتحاول نشرها فى العالم العربى ليتسنى لها توسيع نفوذها.

ويضيف أنه لذلك السبب حين تكون «العلاقات» الإسرائيلية العربية فى أسوأ حالاتها من التدهور والتوتر. يشهد التنافس بين إيران وإسرائيل استرخاء ملحوظا.

ويكشـف الكتاب أن إسـرائيل سـعت بعد الثورة الإسلامية إلى تحسـين علاقاتها مع إيران. على أمل أن يتيح ذلك تهدئة طفيفة فى النزاع العربى الإسرائيلى. والمثير أنه حين

رفعت إيران صوتها إبان ثمانينيات القرن الـ ٢٠ معلنة تأييدها للقضية الفلسطينية. طلبت جماعات الضغط «اللوبى» اليهودى فى واشنطن عدم الاكتراث بالتهديدات الإيرانية. باعتبار أن إيران لن تقدم على تنفيذ أى منها.

بيد أن الصورة تغيرت بعد عام ١٩٩١. فحين سعت الولايات المتحدة إلى سلام بين العرب وإسرائيل، عمدت إيران إلى تفعيل خلاياها النائمة فى فلسطين لإطلاق سلسلة من العمليات الانتحارية داخل إسرائيل بهدف عرقلة عملية السلام.

ويؤكد «بارسى» أن عملية السلام تضر المصالح الجيو – سياسية لإيران، إذ يعنى نجاحها إزاحة الأطراف العربية، خصوصا سوريا، بعيدا عن إيران وبما يؤدى إلى عزل طهران استراتيجيا فى المنطقة.

ويضيف أن إيران ترفض السلام بين العرب وإسرائيل، لأن من شأن التسوية أن تتيح شروطا أكثر مرونة لوجود عسكرى أمريكى فى الشرق الأوسط.

ويوضح المؤلف أن إسرائيل فى سياق ردها على تعاظم قوة «حزب الله» اللبنانى عمدت طبقا لتقرير بثته «هيئة الإذاعة البريطانية» (بى بى سى) إلى إنشاء قوة «عميلة» لها فى العراق، قوامها جماعات كردية، تستطيع التسلل إلى شمال غربى إيران لجمع المعلومات الاستخباراتية. ويكشف أن إيران قامت بعد الغزو الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣ بتوجيه رسالة إلى البيت الأبيض تعلن فيها استعدادها لتقديم «تنازلات كبيرة» لاستباق أى عدوان أمريكى قد يستهدف النظام الإيرانى.

ويشمل العرض سحب الدعم لـ «حزب الله» وحركتى «حماس» و«الجهاد الإسلامى» وكذلك استعداد طهران لإعلان موافقتها على مبادرة السلام العربية التى أقرتها قمة بيروت العربية.

وأضاف أن إيران عرضت أيضا على البيت الأبيض وقف برنامجها النووى والتعاون فى إعمار العراق، إذا سلمتها الولايات المتحدة مقاتلى منظمة «مجاهدى خلق» المعارضة، فى مقابل تسليمها عناصر تنظيم «القاعدة» الذين لجأوا إليها من أفغانستان. بيد أن نائب الرئيس الأمريكى السابق ديك تشينى ووزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد رفضا العرض الإيرانى، بدعوى أن إدارة جورج بوش «لا تتحدث مع الأشرار»، وزاد: «بل إن إدارة بوش وبخت الرسل السويسريين الذين حملوا العرض الإيرانى بدعوى أنهم تجاوزوا مهمتهم فى تمثيل المصالح الأمريكية فى إيران».

ويورد «بارسى» أن إيران أطلقت فى الوقت ذاته عرضا مماثلا قصدت به إسرائيل، اقترحت عليها بموجبه أن يتفق الطرفان على احترام منطقة نفوذ كل منهما، وبذل كل جهد ممكن لتفادى الصدام، لكن إسرائيل رفضت العرض، بدعوى أن إيران تسعى إلى كسب الوقت فحسب.

المشروع الفارسى

عندما نتحدث عن تصدير مبادئ الثورة الإيرانية، فإن ذلك يعنى تصدير فقه المذهب الشيعى الإمامى الاثنى عشرى، ودستور ولاية الفقيه، أى الذى يجعل الملالى مسئولين مسئولية كاملة عن مسئولية الحكم بكل أبعادها وشمولها، وذلك لا يعنى سوى أن تصبح مدينة «قم» الإيرانية هى المرجعية الدينية للمسلمين، ومنها تصدر قرارات تعيين القيادات الدينية وأن يكون مرشد الثورة الذى يحتل مقعد القمة هو المرشد لكل البلاد والمناطق التى ستخضع للنفوذ والسطوة الإيرانية.

وهذه المبادئ باختصار هى الإطار العام للمشروع الفارسى فى مرحلته الجديدة. ونقول الجديدة لأن إيران لم تتوقف عبر تاريخها عن التطلع لمثل هذا المشروع بعد انطواء صفحة الإمبراطورية الفارسية.

ومنذ استولى الملالى بزعامة الخمينى على السلطة عام ١٩٧٩ وهم لا يتوانون عن بذل الجهد لتصدير مبادئ الثورة التى رأوا فيها مدخلا جيدا للمشروع الفارسى. ولم تستمر الانطلاقة الإيرانية لأكثر من ١٨ شهرا، فقد أطلق صدام حسين الحرب من عقالها وصبت المدافع العراقية نيرانها على القوات الإيرانية عبرالحدود واجتازت جيوش صدام خط الحدود فى سبتمبر ١٩٨٠، لتشهد المنطقة وتعيش حرب تدخل ضد الثورة يقوم بها العراق نيابة عن القوى الغربية صاحبة المصلحة فى هذه الحرب، وكان اندفاع صدام مستندا إلى أوهام صورت له أن هذا الطريق هو الطريق الذهبى لتحقيق طموحاته الشخصية والإقليمية.

وبعد انطواء صفحة الحرب، لم يستطع حاكم العراق أن يكبح جماح نفسه واندفع بلا ترو باتجاه الكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠ ليتورط فى معركة انتهت بسقوطه فى مستنقع الهزيمة والعار والانكسار إلى أن تم غزو العراق واحتلاله ابتداء من عام ٢٠٠٣، ثم إلقاء القبض على صدام ومحاكمته وإعدامه.

وإذا كانت حماقة صدام قد قادته وقادت العراق إلى موقف مأساوى. فإنها أدت أيضا إلى زيادة حدة الانقسام بالعالم العربى، وعرفت المنطقة المنقسمة أساسا حالة من الفوضى والتفتت غير مسبوقة على الأقل فى التاريخ المعاصر. وكان منطقيا أن تستغل إيران الفرصة لتدفع بالمشروع الفارسى إلى مقدمة المسرح مجددا بعد أن انفتحت فى جدران العالم العربى عشرات الثغرات التى يمكن النفاذ منها، ودون تردد أقدمت إيران على تغيير الأمر الواقع فى جزيرة أبو موسى بالقوة، وكانت خطوة على الطريق.

وقبل أن نمضى فإننا نود أن نوضح أن المشروع الفارسى مشروع عدوانى توسعى، ولا يتوقف عند حدود منطقة الخليج، ولكن يعتبرها الخطوة الأولى والأساسية، وهم يرون أن الخليج فارسى بالرغم من أنهم لم يسيطروا على جانبى الخليج إلا لفترات قليلة فى حين دانت السيطرة للعرب تاريخيا على جانبى الخليج لعقود متصلة ولفترات تتجاوز بكثير هذه الفترة القصيرة التى يستند إليها الإيرانيون تاريخيا، ووصل الأمر إلى حد المطالبة بإطلاق اسم الامبراطور الفارسى «داريوس» على قناة السويس عندما تصاعدت المطالبة بتصحيح اسم الخليج ليصبح الخليج عربيا.

والمشروع الفارسى لا يكتفى بالتمدد السياسى بل يتطلع إلى الزعامة الدينية، فالملالى مقتنعون بأن المذهب الشيعى هو الأحق بأن يسود وتكون له الكلمة العليا، والتمدد السياسى والزعامة الدينية لن يتحققا بالضرورة إلا على حساب المسلمين السنة والعالم العربى.

وإذا أخذنا بنظرية المؤامرة، فإن ذلك يمثل استمرارا لدور الشيعة الإيرانية فى القضاء على دولة الخلافة العثمانية السنية والذى استمر منذ عام ١٥٠٠ وحتى عام ١٩٢٤ أى أن المخطط ظل متواصلا لمدة ٤٢٤ عاما.

وإذا لم نأخذ بنظرية المؤامرة، فإن للثورة الإيرانية مثلها فى ذلك مثل أى ثورة أن تتطلع إلى ما وراء حدودها لنشر أفكارها ومبادئها لتكسب مزيدا من الأرض والنفوذ الذى ترى أنه حق لها، والذى ترى فيه أنه لصالح شعوب المناطق التى ترنو إليها وتخطط من أجل الوثوب إليها، وبالرغم من وضوح هذه الحقائق فإن الحسابات الضيقة لبعض الحكام فى منطقة الشرق الأوسط دفعتهم للتحالف أو للتعاون مع حكام إيران.

وبجانب هذه الدول التى اختارت التعاون أو التحالف مع إيران لجأ أئمة طهران وقم للاعتماد على حزب الله بصفة خاصة والشيعة فى لبنان بصفة عامة للانطلاق. كما أنها

ترتكز إلى الكتلة الشيعية بالعراق وبدول الخليج لتحقيق أهدافها وطموحاتها. وتتصور أن الفرصة أمامها كبيرة فى ظل اختلال سكانى ووجود شيعى وعمالة إيرانية لممارسة مزيد من الضغوط.

وبجانب نقاط الوثوب والارتكاز ومساحات الحركة المتاحة، تعمل إيران بدأب لا على نشر المذهب الشيعى فقط، بل وعلى جذب الآلاف تلو الآلاف من الشباب العربى والأفريقى من مختلف الدول ومنها مصر لمعسكرات التثقيف والإعداد والتدريب داخل إيران، خاصة بالعاصمة السياسية طهران والدينية قم، أو بمدينة مشهد لتعلم المذهب والفقه الشيعى، وفى سبيل ذلك ينفقون عن سعة.

وهناك حقيقة تدعونا للتنبه والتأمل ومراعاتها أثناء أى حسابات سياسية وهى أن الإيرانيين أحفاد بناة الإمبراطورية الفارسية لا يريدون أن ينسوا هذا التاريخ ولا أن أجدادهم حكموا هذه المناطق، ولا يبارح خيالهم أنهم احتلوا مصر مرتين، ولا أن مصر كانت شيعية تحت حكم الفاطميين وأن الأزهر كان مقرا للفقه الشيعى، وإذا كان اسم أم القرى لا يطلق إلا على مكة وحدها من بين دول العالم، فإن الإيرانيين أقدموا على خطوة غير مسبوقة إذ أطلقوا اسم أم القرى على مدينة «قم».

ونعود إلى الدول التى اختارت التحالف أو التعاون مع إيران ولو مرحليا. فنوضح أن مثل هذه العلاقة ستتيح لإيران الفرصة لمحاولة تغيير الهوية المذهبية. وفيما لو حققت أى قدر من النجاح. فيشكل ذلك خطرا عليها. فالأمور لن تصبح أبدا كما كانت قبل بدء هذه العلاقة. وأى نجاح تحققه إيران يعطى قادتها الإحساس بأنهم قد اقتربوا من تحقيق أهدافهم. وإذا كانوا فى طهران وقم يعلمون ماذا يريدون. ويعملون بكل همة من أجله. مستغلين فى ذلك هذه الفترة الانتقالية التى يمر بها العالم الآن، بعد أن انطوت صفحة المعسكر الشيوعى والحرب الباردة. وهناك بين صفوف قادة إيران الآن إدراك للمخاطر التى يمكن أن يتعرضوا لها نتيجة تطلعاتهم. لذا فهم يحاولون فى كثير من الأحيان التزام الحذر حتى لا يتعرضوا لنكبة مماثلة لنكبة صدام. ولكن الأهم من الحذر أنهم يحاولون بيع المشروع الفارسى للغرب باعتباره الوسيلة المناسبة للدفاع عن مصالحه فى المنطقة، وأن دورهم الإقليمى لا يتعارض مع هذه المصالح بل يساعد على تحقيقها، وهناك فى خلفية الصورة دور الشيعة الإيرانيين تحت قيادة الصفويين فى القضاء على الإمبراطورية العثمانية دولة الخلافة الإسلامية. وبالتالى فمن

بين القيادات الغربية من لا يرى بأسا فى استخدام الإيرانيين لمناوأة السنة وسحب الأرض من تحت أقدامهم سواء بنشر المذهب الشيعى ليصبح المذهب الأكثر انتشارا بين المسلمين أو باحتدام الصراع على الزعامة الدينية داخل الصف الإسلامى وما يمكن أن يترتب على ذلك من صراعات، وبالنسبة للغرب فليس هناك ما هو أفضل من صراع إسلامى إسلامى، ومثل هذا الصراع يمكن استخدامه كبديل لصراع غربى إسلامى، ومثل هذا الصراع الشيعى السنى الذى يؤدى إلى تجسيد الخطر الإيرانى يمكن أن يساعد على تحقيق الأهداف التالية:

- اتمام سيطرة الغرب على بترول المنطقة.
- إقناع دول المنطقة بأن المظلة الغربية هى أفضل وسيلة للحفاظ على الأمن.
- دفع هذه الدول لتكديس السلاح وزيادة حجم ترسانتها العسكرية عبر صفقات جديدة تساعد على دوران عجلة الصناعة العسكرية الغربية وتخفف من نسبة البطالة.

وطالما ظل الصراع الإيرانى الخليجى والإيرانى العربى يدور داخل الخطوط أو الدوائر التى يحددها العالم الغربى، فإن ذلك يساعد على استمرار التوتر وبالقدر المحسوب الذى لا يشكل خطرا على مصالح الغرب. بل حماية لهذه المصالح، أما لو رأت إيران تجاوز هذه الخطوط لحساب مشروعها الفارسى. وبشكل يهدد المصالح الغربية. فسيكون للغرب موقف آخر.

وجوه عربية للمشروع الإيرانى

أكدت الأحداث المتسارعة فى إيقاعها أن المنطقة تشهد صراعا متصاعد الوتيرة بين مشروعين سياسيين:

أولهما هجومى وعدوانى تقوده إيران بالتحالف مع سوريا وحزب الله فى لبنان ومنظمة حماس فى غزة يستهدف التوسع وبسط النفوذ والسيطرة على المقدرات فى المشرق العربى بصفة خاصة وكمرحلة أولى تليها مراحل أخرى فى باقى أرجاء المنطقة.

ثانيهما دفاعى يعمل من أجل حماية الإقليم ككل من المشروع الإيرانى بجذوره الفارسية وحاضره الشيعى الثورى المندفع بشراسة غير مسبوقة. وكأنه فى سباق مع الزمن. أو هو كذلك فعلا. ويمسك بدفة هذا المشروع قوى عربية كثيرة فى مقدمتها مصر والمملكة العربية السعودية، وكان لافتا للنظر أن المشروع الإيرانى وجد وجها أو وجوها عربية تتصدر المسرح بالنيابة عنه، وتنطق وتعبر كممثلة له بل وتمتلك الجرأة لتدعو أحمدى نجاد

رئيس الجمهورية الإيرانية لحضور تجمع عربى فى الدوحة عام ٢٠٠٩ أصرت عليه الدولة المضيفة بالرغم من عدم اكتمال نصاب القمة الطارئة التى دعت إليها.

والذين تصدروا الساحة كممثلين لإيران، والذين ساندوهم. كانوا يعلمون أن القمة الاقتصادية والتنموية والاجتماعية هى أول قمة عربية تتصدى لمشكلة التخلف فى العالم العربى بعد أكثر من ٦٠ عاما من الفشل فى هذا المجال، وأن العمل الجاد قد تواصل على امتداد ما يقرب من عامين من أجل الإعداد الجيد لها ومع ذلك طرحت خطة فى اجتماع وزراء الخارجية بالقاهرة تطلب عقد قمة من أجل وقف المجزرة الإسرائيلية فى غزة، والتى بدأت يوم ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ وبعد أن ناقش المجتمعون الاقتراح القطرى قرروا التوجه إلى مجلس الأمن أولاً.

وسارت الأمور على عدة محاور. جهود عربية فى مجلس الأمن لوقف العدوان، أثمرت إصدار قرار بوقف إطلاق النار يحمل رقم ١٨٦٠ ومبادرة مصرية كانت هى المبادرة الوحيدة الموجودة على الساحة، كما أنها نالت قبول المجتمع الدولى ودارت من حولها المفاوضات من أجل التوصل إلى حل للعدوان الإسرائيلى على غزة ووقف حمام الدم، واشتركت منظمة حماس وإسرائيل فى الجهود والمفاوضات بجانب قوى دولية وإقليمية يوماً بعد يوما كانت الجهود تقترب من النتائج المرجوة.

والمحور الثالث الاستمرار فى الإعداد لقمة الكويت وبدء اجتماعات وزراء الخارجية والمالية وباقى الأطراف المعنية.

وقبل ساعات من اجتماع القمة، فوجئ العالم العربى بدعوة قطرية لقمة طارئة من أجل غزة تعقد يوم الجمعة ١٦ يناير أى قبل ثلاثة أيام فقط من بدء أعمال قمة الكويت، وبذل المسئولون فى قطر طوال يوم الخميس ١٥ يناير جهودا محمومة لإقناع الملوك والأمراء ورؤساء الجمهوريات العرب بالاشتراك فى هذه القمة. وبهذه الدعوة أطل المشروع الإيرانى بقوة على الساحة، وكان أول وأهم ثماره تأكيد حضوره وتأثيره. ووجود أنصار له. أما الانقسام العربى فهو ليس أكثر من عرض لمرض عربى مشهور. فمنذ اقتتال القبائل العربية فى منطقة شبه الجزيرة، ومن أبرز علاماتها حربا البسوس، وداحس والغبراء. لم يعرف العالم العربى سوى الانقسام، وما يرتبط به من صراعات حول الزعامة والقيادة ولم يتأخر الرد المصرى والسعودى. فقد أعلنت الدولتان أنهما لن تشاركا فى قمة الدوحة.

وقررت السعودية توجيه الدعوة لعقد قمة لدول مجلس التعاون الخليجى فى الرياض يوم الخميس ١٥ يناير.

وكان القرار عدم المشاركة فى قمة الدوحة. وفعلا لم تشارك أى دولة خليجية فى هذه القمة فيما عدا قطر، مثل هذا الموقف، شكل صدمة وجرحا لأنه أوضح بصورة جلية حقيقة من يملك الأوراق فى المنطقة. ولمن النفوذ والكلمة.

وفى النهاية لم يحضر هذا الاجتماع سوى عدد محدود من الدول العربية لا يشكل نصابا بالإضافة إلى إيران والسنغال وقادة منظمات حماس والجهاد والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة. وليس لهذه الخطوة من دلالة، سوى تكريس الانقسام الفلسطينى. وهذا النهج مارسته وتمارسه إيران منذ عدة سنوات بشكل منهجى. وبعد هذا الحضور الإيرانى. ثارت التساؤلات حول الأسباب، لأن المقطوع به أن إيران ليست دولة عربية، كما أنها لم تطلق طلقة واحدة باتجاه إسرائيل بالرغم من أنها تملك صواريخ أرض – أرض متوسطة المدى أى يمكنها إصابة أهداف داخل إسرائيل. حتى يمكن القول إن حضورها إنما هو تكريم لدورها فى القتال ضد إسرائيل. إذن لا يبقى سوى أن هناك أسبابا موضوعية للتلاقى القطرى الإيرانى حتى ولو أدى إلى الابتعاد عن المحيط العربى.

وذلك قريب من الموقف السورى إن لم يكن مماثلا له فى اختيار التحالف مع إيران على حساب العرب. وإذا كان المراقبون على بينة من أن المشروع الإيرانى الشيعى لا يمكن أن يحقق النجاح إلا على حساب كل من مصر والسعودية. لذا فإنهم يدركون أن أصحاب هذا المشروع وأنصاره لن يتوقفوا عن محاولة حصار وعزل وإحراج كل من القاهرة والرياض، ولم تخرج قرارات مؤتمر الدوحة عن هذا التوجه، وإذا ما توقفنا أمام قرار تجميد العلاقات مع إسرائيل، فسنتبين أن المجتمعين قد غاب عنهم أن هناك مبادرة مصرية، وأن هذه المبادرة هى الوحيدة على الساحة. وأن مصر هى التى تقود المفاوضات بين حماس وإسرائيل، وتعمل بالتعاون مع قوى دولية وإقليمية، وأن استجابة مصر لهذا القرار تعنى توقف هذه الجهود. وترك حماس فى مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية وحدها. بعد أن تخلت عنها كل من إيران وسوريا وحزب الله. فهل أراد المجتمعون ذلك. أم أنهم ركزوا فقط على محاولة إحراج مصر باعتبارها الدولة التى وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل وتقيم معها علاقات دبلوماسية. بالإضافة إلى الأردن؟

قطع العلاقات الدبلوماسية

(١)

بعد أن تمكن الإمام آية الله روح الله الخميني من التربع على قمة السلطة في إيران مرشدا وموجها وقابضا على مقاليد الأمور بعد أن حققت الثورة نجاحها. كان طبيعيا أن يعيد صياغة الأساليب والمناهج المتبعة في صناعة السياسة الإيرانية داخلية كانت أم خارجية على ضوء أفكار الثورة ومبادئها وتحت ضغوط التيار الهادر للمصالح الجديدة التي ترتبت على وصول الثوار لمقاعد الحكم وكان مفهوما أن تتبنى الثورة منهجا متشددا.

وأطلق الثوار الأكثر تشددا حملات متوالية من العداء ضد كل من الولايات المتحدة وإسرائيل. وأصبحت الأولى تعرف باسم الشيطان الأكبر أما الثانية فأطلق عليها الشيطان الأصغر.

وفجر الملالي وحلفاؤهم براكين الغضب ووثب الشيوعيون إلى مقدمة الصفوف واحتلوا السفارة الأمريكية. وبالتعاون مع النظام السوري عثر الثوار على موطئ قدم في لبنان.

كل ذلك كان يجري خلال الأشهر التي أعقبت نجاح الثورة في ربيع عام ١٩٧٩، وفي نفس الربيع كانت مصر وإسرائيل توقعان اتفاقا للسلام بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية.

وبكل قوة تبنت الثورة الإيرانية مبدأ قطع العلاقات الدبلوماسية مع أي دولة تعقد سلاما مع إسرائيل، ورفع الملالي الشعار، ووضعوه موضع التنفيذ مع مصر.

ولم تفعل إيران أكثر مما تفعله قمة بغداد العربية، فقد انعقدت القمة وقررت عزل مصر ونقل مقر الجامعة العربية إلى تونس لا مجرد قطع العلاقات معها.

ولم يكن لما فعلته إيران وزن مؤثر على مسيرة الأحداث لا داخليا ولا خارجيا.

وكان واضحا أن هذا التوجه في سياسة العالم العربي والثورة الإيرانية يتعارض مع التوجه العام العالمي الذي رحب بهذه الخطوة السلامية بل وقرر دعمها بالمساعدات الاقتصادية.

ولقد كانت هناك عوامل أخرى تدفع الملالي للنقمة على مصر. ولم يكن استقبال السادات للشاه سوى التكأة أو المبرر لمعاداة مصر فلقد كان للثورة والثوار أهداف ومصالح لا يمكن تحقيقها في وجود مصر القوية، ومن هذه الأهداف السيطرة على منطقة الخليج ونشر المذهب الشيعي وتصدير المبادئ الثورية.

وبالنسبة لهذه تقف مصر كالسد الذى يحول دون تحقيقها أو على الأقل كعقبة رئيسية. فمصر هى القوة العسكرية والسياسية والمعنوية والبشرية التى تحول دون انطلاق إيران بقوة باتجاه دول منطقة الخليج.

أما نشر المذهب الشيعى فدونه وجود الأزهر قلعة السنة والفكر السنى. أما المبادئ الثورية فتتكسر أمواجها على الشاطئ المصرى. وبالنسبة للمبادئ فقد أفرغتها إيران من مضمونها بسياساتها.

المهم أن سفينة مقاطعة مصر وسواء كان الربان عربيا أو فارسيا قد مضت تبحر عكس التيار، فى حين مضت مصر تستعيد أرضها المحتلة مرحلة اثر أخرى بنجاح. أى أن العمل السلبى الرافض كان يمضى فى طريقه. والعمل الإيجابى المصرى كان يشق طريقا نحو المستقبل والسيادة الكاملة على كل الأرض المصرية المحتلة.

ومع كل نجاح مصرى، كان الرفض العربى يتخلخل حتى انهارت قوى الرفض، بل وانتهى بها الأمر إلى اللحاق بقطار السلام أو فلنقل بالعربة الأخيرة لهذا القطار والتى نعرفها فى مصر باسم «السبنسة» أى أنهم قفزوا إلى مسيرة السلام فى الدقيقة الأخيرة من الساعة الرابعة والعشرين.

ولم تمارس مصر ولا شعبها الشماتة فى هؤلاء الذين تنبهوا مؤخرا إلى صواب القرار المصرى، خاصة وهم يلومون أنفسهم على أنهم كان يمكن أن يحققوا الأفضل فيما لو لم يقعوا فى الخطأ.

وأيضا لم تدر مصر ظهرها لهم، بل وضعت كل خبراتها لدعم مسيرتهم السلامية ووظفت كل طاقاتها لتحقيق أكبر قدر من التقدم على طريق السلام.

ومصر التى لم تشمت أو تدر ظهرها للقوى العربية التى سبق أن حاولت عزلها لم تحاول توجيه اللوم لإيران للتناقض فى مواقفها السياسية، فإيران التى سارعت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر، هى نفس الدولة التى سعت بكل قواها لدعم علاقاتها مع تركيا صاحبة العلاقات الوثيقة والقوية مع إسرائيل.

ولم يكن ذلك هو التناقض الوحيد، فقد أدى تساقط الأنظمة الشيوعية وتفتت الاتحاد السوفيتى إلى نيل عدد من الدول التى تقطنها أغلبية إسلامية لعضوية منظمة المؤتمر الإسلامى، وهذه الدول منها دول تجمع بينها وبين إيران عامل أو أكثر من عوامل اللغة والجوار والمذهب

وهذه الدول ومنها أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان وطاجيكستان وقرغيزيا بالإضافة إلى البانيا والبوسنة والهرسك اعترفت بإسرائيل وتبادلت معها التمثيل الدبلوماسى. ولم يترتب على ذلك قطع العلاقات الدبلوماسية معها. بالرغم من استمرار رفع الشعارات الإيرانية وتبنى نفس السياسات المتشددة.

ولم تتوقف الصحافة المصرية أو الحكومة لطرح القضية على الرأى العام.

هذا التناقض بين الشعار والتطبيق، لم يكن يليق بثورة ترفع رايات الإسلام!!

وبعد توقيع منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاق سلام مع إسرائيل لم تجد إيران الشجاعة الكافية لقطع العلاقات مع الفلسطينيين ولم تجد الشجاعة لمراجعة الموقف الإيرانى ككل.

وفى إجابة عن سؤال يوم الثلاثاء ٣١ مايو ١٩٩٤ حول الموقف الإيرانى من سوريا فيما لو توصلت لاتفاق سلام مع إسرائيل. قال حجة الإسلام على أكبر ناطق نورى المتحدث الرسمى باسم المجلس الإسلامى والذى أعيد انتخابه يوم ١٣ مايو رئيسا لمجلس الشورى إن إيران لن تقطع علاقاتها مع سوريا. وبعد ذلك بأسبوع أى يوم ٧ يونيو أعلن الرئيس الإيرانى رافسنجانى فى مؤتمر صحفى بطهران استبعاد قطع العلاقات مع الدول التى توقع سلاما مع إسرائيل.

وإذا كانت إيران قد أسقطت الشعار عمليا، فلماذا إذن لا تبعث به إلى مخزن الشعارات؟

والسؤال يبدو وجيها، ولكن إجابته ليست عسيرة، فإيران تتبنى موقفا متشددا. لا من أجل السياسة والعمل الدبلوماسى، بل من أجل أن تظل جسورها قوية مع المنظمات الإرهابية التى ترفع رايات الإسلام، والتى توظفها لتحقيق أهدافها. ومازالت إيران تقدم كل أنواع الدعم للكثير من هذه المنظمات، لتظل قادرة على ممارسة العنف لزعزعة استقرار الدول التى تتخذها ميدانا لنشاطها، ومن بين هذه الدول مصر التى تحتل مركزا متقدما، والتى مازال الملالى يتطلعون ليوم تفقد فيه اتزانها وقوتها واستقرارها.

أما الشيطان الأكبر والشيطان الأصغر فلكل منهما ملف يكشف حقيقة الاتصالات التى دارت خاصة فى الشوارع الخلفية، ولن نشير إلى العلاقات الإيرانية الإسرائيلية، خاصة خلال سنوات الحرب الإيرانية العراقية والتى مازالت مستمرة حتى الآن، ولكننا سنعود لنؤكد أن المخططات الإيرانية المعادية لمصر مازالت مستمرة. وأن القوى المسيطرة الآن فى

معظمهـا تـرى أن الطموحات الإيرانيـة تصطدم بالحضور المصرى القـوى فى المنطقة وإذا كان العالم بمتغيراته الحادة قد فرض على الجميع مراجعة سياسـاتهم، فإن إيران ليسـت استثناء، ولكن الأمر بالنسبة للثورات والقيادات الثورية يستغرق وقتا أطول، بين الأجنحة المختلفة، وسيطرة الغوغائية والديماجوجية على الشارع السياسى له اعتبار ووزن كبير.

(٢)

مع استمرار احتلال الجولان الذى بدأ عام ١٩٦٧ وقطف مصر ثمار السلام مع إسرائيل، ومن أهمها اسـتعادة سيادتها على كل أراضيها المحتلة. يشعر النظام بالحرج البالغ، لذا يتبنى سياسة مزدوجة تقوم على رفض السلام والهجوم على مصر، والبحث عن طريق للسلام مـن خلال عواصم عالمية وإقليمية، آخرها أنقـرة العاصمة التركية، ولا يتوقف عن خوض تجربـة المفاوضات مع إسـرائيل، وعلى نفس النهج يهاجمون أمريـكا بالأقوال، ويطلبون إشـرافها على المفاوضات فى نفس الوقت. أما التحالف مع إيران فيسـتهدف الاستناد إلى حليف إقليمى شـيعى يحمى النظام الشـيعى السـورى من العزلة الدولية والإقليمية ويوفر الدعم السياسـى والاقتصادى، مقابل دعم طموحاته الإقليمية وسـعيه المحموم لاسـتكمال مشـروعه النووى والمشاركة بدور رئيسى فى صراعات المنطقة من خلال تحالف يجمع بين إيران وسوريا وحزب الله ومنظمة حماس، ومع أن إيران لم تتوقف عن التعاون مع إسرائيل سـواء فى عصر الشـاه أو عصر آيات الله، فإنها تتبجح وتعلن العداء لإسـرائيل، وتتوعد وتهدد. أما التعاون فهو معلومات مؤكدة وموثقة، وعلى سبيل المثال، فإن معظم الوقود التى استخدمته القوات الإسرائيلية فى معركة يونيو ١٩٦٧ كان من إيران، أما فى عصر آية الله الخمينى قائد الثورة الإيرانية فقد أزيح السـتار عن انغماسـه فى فضيحة إيران الكونترا أو إيـران جيت، وهى عملية أمريكية إسـرائيلية إيرانية مشـتركة لدعـم منظمة الكونترا فى نيكاراجوا التى تعمل ضد نظام الساندنيسـتا الشـيوعى وكان من الشخصيات الرئيسية فى المؤامرة أوليفر نورث أحد أهم مسـاعدى الرئيـس ريجان، ويعقوب نمرودى رجل الأعمال والأمن الإسرائيلى، وآية الله الخمينى شخصيا، وهناك من يصدق شعارات العداء الإيرانية لإسرائيل، ولكن الوقائع أقوى من كل الادعاءات.

ومنـذ أيام الثورة الإيرانيـة الأولى والاندفاع لتصدير مبادئ الثـورة، واجه المخططون والمسئولون حقيقة قوة وحضور كل من مصر والمملكة السعودية كقوتين سنيتين إقليميتين،

وقد عرقلت الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨ مشروع تصدير الثورة. ولكن آيات الله عادوا بعد وقف إطلاق النار مع العراق إلى العمل بقوة من أجل تصدير الثورة، ووضعوا مخططا يعتمد على إزاحة مصر من الطريق وإصابة السعودية بشروخ اعتمادا على نشر التشيع والانقسام الداخلى وتوفير التمويل السخى لكل القوى المتعاونة، وفى مقدمتها سوريا وحزب الله وحماس، ومواصلة الضغط بكل السبل على النظام فى الدولتين، إعلاميا ومذهبيا وسياسيا. وتصدير مبادئ الثورة هو بداية الطريق لبناء إمبراطورية إيرانية فى المنطقة، خاصة فى كل الشرق العربى. وخلال السنوات القليلة الماضية، حقق المشروع قدرا كبيرا من النجاح، فها هى إيران تسيطر على القرار العراقى. وتتوسع فى مناطق الجنوب الشيعية. أما فى لبنان فقد أصبح حزب الله قوة فى الشارع، وداخل مجلس الوزراء امتلك مناصب وزارية تكفل له منع صدور أى قرار يؤثر على أهدافه أو نفوذه، هذا بجانب الكتلة الشيعية الحاكمة فى سوريا. أى أن الحزام الشيعى الذى يمتد من إيران مرورا بالعراق وصولا إلى سوريا ولبنان اقترب من أن يصبح واقعا. ومثل هذا الأمر يوفر نقطة انطلاق للتأثير بقوة فى كل دول شبه الجزيرة العربية التى تضم فى معظمها كتلا شيعية رئيسية وفعالة، وإرغام العالم العربى على الانحسار إقليميا. وخلال عامى ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ وجدت إيران فى التعاون مع المتمردين الحوثيين الشيعة فى اليمن ومع منظمة القاعدة السنية طريقا للوصول بنفوذها ومخططاتها إلى هذه المنطقة الحيوية لتهديد جنوب المملكة السعودية، والتأثير على جنوب البحر الأحمر وعدد من دول الساحل الشرقى لأفريقيا.

والمشروع النووى الإيرانى جزء رئيس فى المشروع الإمبراطورى ومخططات السيطرة والتوسع على حساب دول المنطقة، والسعى المحموم الآن هو استغلال فترات الضعف الأمريكى للخروج بصفقة تضمن لإيران مكانة القوة الإقليمية العظمى ولا بأس من اقتسام النفوذ مع إسرائيل وتركيا.

(٣)

تختلط الشعارات بالأوهام والواقع بضجيج الدعاية المتواصلة والضغوط التى لا تعرف التوقف من الأطراف المختلفة للقضية الفلسطينية، فلا يتمكن المراقب من معرفة الحقيقة فى العلاقات الفلسطينية الإيرانية.

ويتطلب الأمر العودة إلى نقطة البداية ولكن لنسمع ماذا يقول الإيرانيون أولاً وأهم ما يبدأون به الحديث القول إن ثورتهم الخمينية قد تبنت القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين منذ لحظة انتصارها على نظام الشاه محمد رضا بهلوى وأنها بقيت على مدى الأعوام الماضية تعتبر هذه القضية أحد ثوابت سياساتها ومواقفها الخارجية وأنها تصرفت على هذا الأساس وفقا لما يتلاءم مع هذا المنطق خلال كل هذه الأعوام، وأنها إذ اتخذت من منظمة التحرير موقفا عدائيا فلأنها حادت عن طريق التحرير ولأنها انخرطت فى المساومات والألاعيب السياسية على حساب تطلعات الشعب الفلسطينى وحقه فى تحرير وطنه المقدس من البحر إلى النهر.

كان أول اتصال بين الإمام الخمينى وبين حركة فتح فى بداية سبعينيات القرن الماضى، كان يومها قائد وزعيم ومرشد الثورة الإسلامية فى إيران التى لم تكن قد انطلقت بعد يقيم فى النجف الأشرف بالعراق، ويقود المعارضة ضد نظام الشاه السابق من الخارج. حين ذهب إليه وفد فلسطينى كان على رأسه صبرى البنا «أبو نضال» الذى ما لبث بعد ذلك بنحو عامين أن انشق عن حركة «فتح» وأصبح بندقية للإيجار أجرًها أولا للعراق. ثم بعد ذلك سوريا ثم الجماهيرية الليبية إلى أن انتهى قتيلا فى بغداد عشية الغزو الأمريكى فى عام ٢٠٠٣.

طلب الوفد الفلسطينى من الإمام الخمينى إصدار فتوى بضرورة منح زكاة المسلمين وبخاصة الشيعة إلى حركة فتح وبعد جدل طويل أبدى خلاله مرشد الثورة الإسلامية والولى الفقيه ممانعة وتحفظا، أصدر هذه الفتوى تحت إغراء أنها ستفيده فى معركته المصيرية ضد نظام الشاه.

بعد ذلك بقيت الأمور تتحرك فى حدود التحفظ المتبادل والتردد إلى أن انتقل الإمام الخمينى إلى باريس وانفجرت الثورة الإسلامية وعاد بعد إقامة قصيرة فى إحدى ضواحى باريس إلى طهران.. عندها تحرك ياسر عرفات الذى كان يواجه تدهورا متصاعدا فى علاقاته مع شيعة لبنان وبخاصة حركة «أمل» بسرعة وقام بزيارة تاريخية إلى إيران بعد انتصار ثورتها بأيام قليلة على رأس وفد كبير نقلته طائرة سورية من طراز Dio إلى مطار مهراباد الذى كان لا يزال تحت سيطرة فنى سلاح جو الشاه السابق.

كان الإمام الخمينى ينزل فى مدرسة علوى فى شمالى طهران، ولقد أجرى الرئيس الفلسطينى الراحل الذى كان يرافقه أيضا الرئيس الحالى محمود عباس «أبو مازن» محادثات

مطولة مع قائد الثورة المنتصر الذى رفض استخدام اللغة العربية فى محادثاته تلك التى كان يتقنها أكثر كثيرا من ضيفه الشقيق ولقد ثبت لـ «أبو عمار» أن القضية الفلسطينية بعيدة عن ذهن زعيم وقائد ورائد إيران الجديد كل البعد، وأن كل ما يريده منها هو أن تشكل غطاء لتصدير ثورته إلى الدول العربية القريبة والبعيدة.

لقد حاول أبو عمار الذى كان بحاجة لصداقة زعيم الثورة الإيرانية والاقتراب منه لمواجهة شيعة لبنان، الذين بدأوا بعد أن أصبحت حركة «أمل» حركتهم السياسية ينقلبون عليه وعلى الثورة الفلسطينية، إقناع الخمينى بضرورة الانفتاح على العرب وضرورة مساندة قضية فلسطين-- لكن هذا الأخير أصر على أن يفك ياسر عرفات علاقاته بالعرب،والعروبة وأن يكون جزءا من الثورة الإسلامية، وهكذا وقع الاختلاف الذى تحول إلى خصومة شديدة بعد انحياز الفلسطينيين إلى العراق خلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية.

بعد ذلك انشغل الإمام الخمينى بهذه الحرب وقد نسى فلسطين والقضية الفلسطينية، واضطر فى لحظة من لحظات اشتداد المعارك إلى إصدار فتوى بطريقة ملتوية تجيز قبول مساعدات عسكرية من إسرائيل ومن الولايات المتحدة فالضرورات تبيح المحظورات وكان الخوف من الهزيمة قد دفع الثورة الإسلامية وقائدها إلى الاستعانة بمن من المفترض أنهم أعداء وأنهم يحتلون فلسطين وثالث الحرمين الشريفين.

بعد توقف حرب الثمانية أعوام فى ٨/ ٨/ ١٩٨٨ بدأت إيران تنظر إلى الخارج مجددا وبدأت تستأنف عملية تصدير ثورتها إلى الدول العربية القريبة والبعيدة، وحقيقة أنها كانت قد حققت موطئ أقدام فى لبنان وفى العراق وفلسطين بعد انطلاقة حركة «حماس» التى كانت ولاتزال امتدادا لـ «الإخوان المسلمين» والتى لم يتمتن ارتباطها بطهران وبالولى الفقيه إلا فى عام ١٩٩٥ بعد أن وجد الإيرانيون أنهم باتوا بحاجة إلى رأس جسر داخل حركة التحرير الفلسطينية فى أعقاب عدم دعوتهم إلى مؤتمر مدريد، ولقد سعت إيران إلى تحويل حماس إلى إحدى أذرع فيلق القدس وحراس الثورة وإلى تابع للولى الفقيه مباشرة.

لقد أصبح التبنى الإيرانى لحركة حماس أولا ومن بعدها منظمة الجهاد الإسلامى واضحا ومعلنا بعد عام ١٩٩٥، وذلك على ضوء الخشية من أن أى نجاح لمسيرة السلام سيؤدى إلى مزيد من العزلة الإيرانية، وسيشكل عائقا على طريق التحول إلى رقم رئيسى فى معادلة المنطقة.

وكان الهدف واضحا وبسيطا ويتمثل فى العمل على تمزيق منظمة التحرير التى وقعت اتفاقية أوسلو. وإضعاف حركة فتح. وإصابة العمل من اجل استكمال مشوار السلام بالشلل. وفى نفس الوقت استهدفت إيران من وراء تشجيع وتبنى حماس والجهاد ومطالبتها بتنفيذ عمليات انتحارية ضد أهداف اسرائيلية من أجل دفع اسرائيل للاندفاع باتجاه اليمين المتشدد تحت ضغط هذه العمليات. وبما يقود إلى تشدد اسرائيلى ومزيد من العقبات على طريق السلام.

لقد جرى كل هذا فى سنوات سابقة ولقد حققت إيران كل ما سعت إليه اعتبارا من عام ١٩٩٥. وعندما فازت حماس فى الانتخابات التشريعية لم تكتف بتشكيل حكومة فلسطينية. بل عمدت إلى الاستيلاء على السلطة فى قطاع غزة عام ٢٠٠٧. وأنشأت إمارتها الإسلامية.

وتطورت الأمور فى أعقاب عملية اختطاف الجندى الاسرائيلى جلعاد شاليط، وتنفيذ عمليات قصف صاروخى على أهداف اسرائيلية، إلى أن أقدمت إسرائيل على اجتياح قطاع غزة فى ديسمبر ٢٠٠٨ يناير ٢٠٠٩.

ورأى المسئولون الإيرانيون، أن «حماس» قد تمكنت من إسقاط عملية السلام. وعندما قامت بعد ذلك بانقلابها على السلطة الوطنية الذى قامت به.

ولا يمكن إنكار الدعم بالمال والسلاح وبالسياسة الذى قدمته إيران لحركة حماس ولبعض الفصائل الفلسطينية الأخرى، لكن مالا يمكن إنكاره أيضا أن الحرب بين اسرائيل والفلسطينيين قد كشفت النقاب عن أى أن هذا الدعم السخى لم يكن لا من أجل فلسطين ولا من أجل القضية، وإنما من أجل الدور الذى يسعى إليه الإيرانيون فى هذه المنطقة. لقد كان بإمكان طهران لو أن هم القضية الفلسطينية هو همها فعلا، أن تساند غزة المحاصرة بإطلاق ولو أعداد قليلة من صواريخها البعيدة المدى على دولة «العدو الصهيونى»، ولقد كان من المفترض لو أنه ليس لإيران حسابات أخرى غير حسابات فلسطين وقضيتها أن لا يُصدر السيد على خامنئى الفتوى التى أصدرها بمنع مواطنيه من التطوع للقتال إلى جانب الفلسطينيين. ومنع حزب الله من استخدام صواريخه لفتح جبهة قتال أخرى عبر الجنوب اللبنانى لتخفيف الضغط الإسرائيلى على أبناء غزة.

(٤)

الهجوم العنيف الذى شنه حسن نصر الله على مصر وعلى أنظمة عربية أخرى لم يسمها لكنها معروفة. يؤكد أن هناك مؤامرة تقف خلفها إيران ومعها حلفاؤها فى معسكر الممانعة

والمقاومة وأنه لتنفيذ هذه المؤامرة تم استدراج الإسرائيليين الذين كانوا ينتظرون المبرر الذى يريدونه للقيام بما قاموا به خلال ديسمبر ٢٠٠٨ ويناير ٢٠٠٩ لذبح غزة من الوريد إلى الوريد واستهداف كل سكانها الذين يصل عددهم إلى نحو المليون ونصف المليون لحسابات انتخابية ولحسابات تلتقى مع حسابات الجمهورية الإسلامية.

لا خلاف على أن الإسرائيليين ولأسباب كثيرة بعضها يتعلق بأوضاعهم الداخلية وباستحقاقات الانتخابات المقبلة وبعضها الآخر يتعلق بواقع الشرق الأوسط وبما يمكن أن يعكسه مجىء الإدارة الأمريكية الجديدة على المنطقة كانوا يتحينون الفرص لاستهداف غزة بعدوان كهذا العدوان لكن ما لا خلاف عليه أيضا إلا بالنسبة للمناكفين وأصحاب الأجندات الخاصة، هو أنه كان بالإمكان تفادى كل هذا الذى حصل أو على الأقل تأجيله.. لو أن «حماس» غلبت مصلحة شعبها على الحسابات الحزبية وعلى الولاءات الإقليمية التى تربطها بمعسكر الممانعة والمقاومة بقيادة وإشراف إيران وبمخططاته وتطلعاته.

لم تكن خطوة إنهاء «الهدنة» مع إسرائيل لا حصيفة ولا موفقة ولو أن «حماس» لم تكن تريد هذه الحرب وتسعى إليها وهى تظن أنها لن تكون بكل هذا المستوى من الإفراط بالعنف وبكل هذه الهمجية والدموية لكانت تحاشت الألاعيب الاستفزازية ولتجنبت إعطاء الإسرائيليين المبرر الذى كانوا يريدونه ولحرصت حرصا شديدا على إطالة أمد «التهدئة» التى كانت أعلنت وأكثر من مرة وعلى ألسنة كبار مسئوليها أنها تريدها لعشرة أعوام وأكثر.

عندما يكون العدو بانتظار أن تعطيه المبرر الذى يريده للانقضاض عليك، وعندما تكون موازين القوى غير متكافئة، فإن عليك أن تتصرف بحسابات دقيقة جدا، اللهم إلا إذا كنت تريد الانتحار لأى سبب من الأسباب، والحقيقة أنه لو روجعت الأيام القليلة التى سبقت هذه الحرب بمسئولية وصدق وبعيدا عن الحسابات التى لا علاقة لها بالشعب الفلسطينى وقضيته، لجرى التأكد من أن «حماس» متورطة فى مخطط إقليمى وأنها من أجل إنجاز هذا المخطط قد ضحت بغزة وبأهل غزة، وتعاملت مع «التهدئة» بالطريقة التى تعاملت بها معها وهى تعرف مسبقا أن الإسرائيليين كانوا ينتظرون المبرر الذى يريدونه للقيام بهذه الهجمة البربرية الغاشمة.

إن المفترض أنه بات معروفا بعد كل هذه التجارب المرة أن نظام الثورة الخمينية فى إيران قد بدأ يسعى ومنذ لحظة انتصار ثورته إلى تصدير هذه الثورة إلى الدول المجاورة وإلى انتزاع

الشـارع العربى من أيدى الأنظمة العربية التى اعتبرها خائنة وحليفة لـ «الشيطان الأكبر» وإنه لهذه الغاية أقام رؤوس جسـور له تمثلت بعض امتداداته المذهبية فى العراق وبحزب الله فى لبنان وبحركة «حماس» فى فلسطين وبحركة «الحوثى» فى اليمن وبتشكيلات أصغر حجما وأقل تأثيرا فى بعض دول الخليج وفى مصر والسودان والمغرب العربى.

كانت إيران تشـعر أن العراق الواحد الموحد والقوى يشـكل سـدا أمام تطلعاتها لتصدير ثورتها فى اتجاه الشرق الأوسط الذى ترى أنها الأحق بقيادته وأنها الرقم الأهم فى معادلته ولذلك فإنها بادرت إلى التعاون مع الولايات المتحدة ومع الرئيس جورج بوش لاحتلاله وهى عاقدة العزم سلفا على تمزيقه وإغراقه فى الفوضى وهذا هو ما حصل وتحقق وما فتح الطريق بعد كسـر هذه الحلقة الرئيسـية للانتقال إلى مصر التى تعرضت قبل حرب غزة وبعدها إلى حملة منظمة وإلى مظاهرات شوارع صاخبة كشفت دقة تنظيمها مدى التنسيق والتعاون بين الإخوان المسلمين بكل فروعهم بتنظيمهم العالمى وبين قيادة الولى الفقيه فى طهران.

كان المخطط يقضى بأن يعطى اسـتهداف مصر غطاء فلسطينيا وأن تلعب فيه حركة حماس موقع رأس الحربة ولذلك كانت هناك حملات معبر «رفح» المفتعلة وكانت هناك لعبـة تحويل غـزة وأهل غزة إلى وقود لهذا المخطط وكان هناك هجوم حسـن نصر الله غير المسـبوق على الرئيس المصرى حسـنى مبارك ونظامـه. وكانت كل هذه المهاترات والشتائم التى استهدفت مصر ودولا عربية أخرى أكثر مما استهدفت إسرائيل وعدوانها وهجمتها البشعة.

كل هذا الصخب والصراخ الذى طفحت به شوارع العرب كان هدف الذين حركوه ووقفوا وراءه هـو خدمـة هذا المخطط الإيرانى الذى بدأ بمصر لأنها تشـكل الحلقة الرئيسـية فى السلسـلة العربية وهو زرع الفوضى فى هذه المنطقة كى تحقق إيران ما بقيت تسـعى إليه. إن فـى عهد محمد رضا شـاه وإن منذ لحظة انتصار الثـورة الخمينية وهو أن تصبح الرقم الرئيسى فى معادلة الشرق الأوسط وأن تستعيد أمجاد فارس القديمة.

إن هـذه هـى الحقيقة ولو أن «حماس» لم تكن متورطة بالفعل فى هذا المخطط فإنه كان عليهـا وقـد أصبحت الحرب على الأبـواب أن تقترب من مصر بـدل أن تبتعد عنها وأن تصالحها بدل أن تعاديها وتخاصمها لكن هذا لم يحدث وللأسف مما يعنى أنه جرى تقديم غزة وأهل غزة كضحية على مذبح الأطماع الإيرانية فى المنطقة.

كانت تقديرات إيران ومعها كل حلفائها فى معسكر الممانعة والمقاومة أن الفوضى ستعم مصر بمجرد أن يبدأ الهجوم الإسرائيلى على غزة وأن الدول العربية المعتدلة والمحافظة ستتمزق تحت ضغط مظاهرات الشوارع التى بعضها برىء وبعضها موجه وكانت تقديرات «حماس» أن الحرب ستكون مجرد معركة محدودة وأنه بمجرد توقفها ستخرج وهى ترفع أعلام النصر كما فعل حسن نصرالله فى حرب يوليو ٢٠٠٦.. ولا يمكن تصديق أن الهجوم الإسرائيلى جاء مباغتا لـ «حماس» فالحشود العسكرية الإسرائيلية كانت تجرى فى وضح النهار وأهل غزة كانوا يتابعون هذه الحشود حتى بالعيون المجردة لكن الواضح أن تقديرات قادة هذه الحركة أنه لا يمكن أن تصل الأمور إلى الحرب الشاملة وعلى هذا النحو التدميرى، وأن أقصى ما يمكن أن يحصل هو تحركات حدودية محدودة فتخرج هى منتصرة لتفعل ما فعله «حزب الله» وتفرض نفسها على الفلسطينيين وعلى العرب كأمر واقع وتحسن مواقعها التحالفية لدى أشقائها «العجم».

إيران تستغل الفظائع فى غزة للنيل من مصر

منذ أن وقعت حرب يوليو ٢٠٠٦ و«حماس» تدغدغها مشاعر أن تكون نسخة مكررة عن «حزب الله» فى غزة.

وما لم يدر فى خلد «حماس» أن «حزب الله» أخذ بلدا كاملا إلى الحرب غير عابئ بالنتائج، وهذا البلد رغم صغره إلا أنه غير قابع تحت الاحتلال الخارجى، ومناطقه المفتوحة على بعضها استقبلت الذين نزحوا من الجنوب ومن الضاحية. واختار الذين فى البقاع الذهاب إلى سوريا. ومع ذلك قتل ما يزيد على ١٣٠٠ إنسان. وجرح الآلاف ولايزال اقتصاده يعانى ولاتزال الأكثرية والمعارضة تتصارعان على من يقوم بالترميم: وأين أصبحت الأموال الطاهرة وتلك غير الطاهرة، لكنها تبقى أموالا والكل يطالب بها.

قال رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة إسماعيل هنية فى اليوم الأول للغارات الجوية الإسرائيلية على غزة فى ديسمبر ٢٠٠٨ التى حصدت دفعة واحدة ٢٩٥ قتيلا، «نحن لسنا طلاب حياة»، واندفعت كل الأحزاب الإسلامية المؤيدة لهذا التوجه إلى تأييده.

وفى الرابع عشر من ديسمبر قال رئيس حركة «حماس» خالد مشعل: «بعد ١٩ ديسمبر ستنتهى التهدئة ولا تجديد لها. نحن سنتصرف وفق متطلبات الميدان للدفاع عن شعبنا». والفظائع التى ترتكبها إسرائيل بحق أهالى غزة تكشف أن هذا الشعب مكشوف. لا حماية

له. وأن لغة الخطابات التهديدية التى يقذفنا بها زعماء الأحزاب الإسلامية، لا يسمعها أهالى غزة المنكوبة. ولا تشكل مظلة واقية من الغارات الإسرائيلية.

وعندما بدأت الحملة على مصر. رفضت «حماس» السماح للحجاج الغزاويين بالسفر إلى الحج على أساس أن معبر رفح مغلق. ثم رفضت المشاركة فى الدعوة التى وجهتها مصر إلى الفصائل الفلسطينية. للسبب نفسه. اعتقدت «حماس» بأنها تستطيع أن تحرج مصر وتضغط عليها. وكل ذلك جاء بتوجيه من إيران. تريد إيران أن تصبح مصر بالنسبة لـ «حماس»مثل سوريا بالنسبة لـ «حزب الله» فى لبنان. أى أن تكون ممرا للسلاح الإيرانى. وللصواريخ وأيضا للنفوذ الإيرانى فتصبح بذلك إيران قادرة على تطويق الدول العربية كلها وتهديدها عبر قوتين عسكريتين فى المنطقة. «حماس» و«حزب الله».. مصر التى خاضت حروبا مع إسرائيل من أجل الفلسطينيين. تربطها معاهدة سلام مع إسرائيل وليست فى حاجة لرؤية غزة مركزا للإرهاب تهدد به إسرائيل.

عندما كانت حماس فى المعارضة كانت تنتقد «فتح». لكن منذ عام ٢٠٠٥ بعد الانسحاب الإسرائيلى. هى المسئولة الفعلية عن غزة التى غرقت فى مستنقع من الأزمات أدى إلى بدء فقدان «حماس» لشعبيتها. وعجزت «حماس» عن أن تحقق خرقا لصالحها فى الضفة الغربية حيث السيطرة لـ «فتح».

وشعرت إذا ما جددت اتفاقية التهدئة مع إسرائيل وظلت مسئولة عن غزة بأوضاعها المزرية. فإن خسائرها ستتضاعف وكان «قرارها الاستراتيجى» بأن تعود قوة مواجهة مع إسرائيل بمضاعفة إطلاق الصواريخ وإظهار أن «فتح» تتعاون مع الإسرائيليين.

من وجهة نظر «حماس» وبسبب فشلها فى توفير أقل وأبسط مستلزمات الحياة للذين غامروا وصدقوا وانتخبوا، رأت أنه من الضرورى وقف التهدئة قبل الانتخابات الرئاسية الفلسطينية، فحتى لو ردت إسرائيل فإن ردها حسب حسابات «حماس» لن يكسر قدرات الحركة. وسيدفع الناس للالتفاف حولها وإعادة انتخابها.. وهى تطلق الصواريخ على إسرائيل. أرفقت ذلك بالادعاء بأن مصر أعطت الضوء الأخضر للجيش الإسرائيلى لعملية محدودة ضد غزة لقلب حكومة «حماس».

إيران خططت للحملة على مصر التى أحبطت كل المخططات الإيرانية لتحويلها إلى ممر للأسلحة والنفوذ الإيرانيين إلى غزة. وبدأت المظاهرات ضد مصر فى طهران التى أعطت الإشارة لحلفائها فى دمشق ولبنان وغزة للقيام بمظاهرات مماثلة تندد بمصر التى لا تفتح معبر رفح. مع العلم أنه رغم الانسحاب الإسرائيلى من غزة. يبقى القطاع تحت الاحتلال

وتبقى حدوده مرهونة بالأوامر الإسرائيلية والدولية. وقد رفضت «حماس» الاعتراف بكل الاتفاقات الدولية.

ولاحظ الجميع شراسة تلك الحملة. ففى الثلاثين من نوفمبر ٢٠٠٨ سارت مظاهرة أمام وزارة الخارجية الإيرانية فى طهران شارك فيها طلاب الجامعات وطلبوا من منظمة المؤتمر الإسلامى إدراج بند «إعدام الخائن مبارك» فى برنامج عملها.

وفى الثامن من ديسمبر ٢٠٠٨ سارت مظاهرة أخرى أمام مكتب المصالح المصرية فى طهران دعا فيها الطلاب الإيرانيون إلى «إعدام الفرعون مبارك» ودعوا «الإخوان المسلمين» والطلاب فى مصر ليتحدوا ويفتحوا معبر رفح، ثم رموا بالقنابل الحارقة على المكتب ورفعوا صورا من عملية اغتيال السادات عليها عبارة: «هذا عقاب المفاوضين» و«كلنا خالد إسلامبولى». وقال المتظاهرون إن مصر فى ظل مبارك متواطئة مع جرائم إسرائيل ورددوا هتافات «الموت لمبارك»، «العار لمبارك»، «الإعدام الثورى لكل مساوم»، «اعدموا حسنى مبارك»، «صمت كل المسلمين خيانة للقرآن»، «الحسن، الحسين شعارنا والشهادة فخرنا». وأثنى لاحقا جواد كريمى قدوسى عضو مجلس الأمن القومى ولجنة العلاقات الخارجية على دعوة الطلاب. وخطب فيهم حمد محمدى الناطق باسم مقر «منظمة العالم الإسلامى لإحياء ذكرى الشهداء» المؤسسة التى أنتجت فيلم «اغتيال فرعون» الذى وتر العلاقات أكثر بين مصر وإيران قال: «إن مبارك أسوأ الأشرار فى زمننا، لمدة ٢٧ سنة. يحكم وحش اسمه مبارك مصر (...) كيف يمكن تسميته مسلما، هو يمنع المسلمين من اتباع طريق الله، إن عقوبته الموت. لو كان مبارك حاضرا الآن هنا. فإن هؤلاء المتظاهرين ما كانوا ترددوا لحظة واعدموه فورا».

وأضاف: «نرفض الشر بكل أشكاله. إن مبارك هو رأس النظام الصهيونى. والطريقة لتحرير المسلمين من النظام الصهيونى الجائر ومن خدامه. لا تكون عبر أروقة الأمم المتحدة. أو مقاعد مجلس الأمن أو البرلمانات العربية أو المؤتمرات الخادعة. الطريقة الوحيدة لفعل ذلك تكون بشاحنات محملة بالمتفجرات يقودها أشخاص مثل شهداء «حزب الله».

وفى أوائل ديسمبر اتهمت الصحف الإيرانية ومنها «كيهان» و«جمهورى إسلامى» النظام المصرى بالخيانة، ودعت الشعب المصرى لقلبه. رئيس تحرير «كيهان» حسين شريعتمدارى المقرب من خامنئى، كتب فى الثانى من ديسمبر «نشعر ونتألم لغياب الشهيد

خالد إسلامبولى، يجب أن يتمثل به كثيرون، لو ثار الشعب المصرى ضد نظامه، ما تجرأ أحد على الوقوف ضده». واستشهد شريعتمدارى باستفتاء أجرته فضائية «الجزيرة» وقال: كشفت «الجزيرة» أن ٥٩ ٪ من المشاهدين رأوا أن رأس النظام المصرى حسنى مبارك يتحمل المسئولية الأكبر عن مأساة غزة. لكن هل فقد المسلمون، لاسيما الذين فى مصر، شرفهم ومشاعرهم الإنسانية؟ أنه لأمر غير معقول. إن الشعب المصرى المتحضر لم يرفع اصبعا يعترض على إغلاق معبر رفح أو يحتج على الكارثة الإنسانية التى تحدث فى غزة، لو ثار الشعب المصرى ضد نظامه لما اعترضه أحد، عليه أن يتعلم من الشعوب فى إيران، ولبنان وفلسطين التى وقفت وقاومت. إن غضب المسلمين سيصل آجلا أم عاجلا ليقطع رؤوس بعض الحكام العرب».

وفى الثانى من ديسمبر ٢٠٠٨ كتبت صحيفة «جمهورى إسلامى»: «إن العالم العربى والإسلامى يكون أفضل من دون حكامه الخائنين (.....) لو يستطيع العرب التعبير عن أمنياتهم الدفينة لأظهروا للأعداء والأصدقاء أنهم قادرون على التخلص من الخونة».

وفى السابع من نفس الشهر وصفت الصحيفة الرئيس المصرى بـ «الديكتاتور» و«الفرعون» وقالت: «لا قيمة لمبارك عند الشعب المصرى، هو فى الكرسى بدعم أمريكى، إن الحكومات الطاغية عقبة فى وجه المبادئ والقيم».

وتعمل إيران بقوة لكسب «ورقة غزة» وذلك عبر حملات شرسة ومدروسة ضد مصر، بعد أن دمرت أمريكا العراق. أخذت إيران على عاتقها تدمير بقية الدول العربية الأخرى من أجل نشر نفوذها ولا يكلفها ذلك إلا المزايدة والحملات الإعلامية والاعتماد على من تمولهم واشترت ولاءهم، لكن الأوراق صارت مفضوحة. وكما تتصرف الأحزاب الدينية وكأنها أعلى من الدول، كذلك أصدر خامنئى فتوى إلى كل المسلمين فى العالم «يأمرهم» فيها بالدفاع عن غزة «بأى طريقة ممكنة» وقال: «كل من يقتل وهو يدافع عن الفلسطينيين يعتبر شهيدا».

١٤ جارا لإيران

لا يشبه روسيا فى الجغرافيا الآسيوية سوى إيران، فهى دولة لها نحو ١٤ جارا ومن أهم هذه الدول العراق وتركيا وأذربيجان وتركمانستان وأفغانستان وباكستان. أما الدول التى تشاركها فى شواطئ بحر قزوين فمنها روسيا وكازاخستان وأذربيجان وتركمانستان،

وكل جوار عالم، وكل جوار مدخل ومخرج سياسى فى وقت واحد. وكل جوار باب مفتوح أو منغلق. وكل باب له مسئولياته وحساباته الاستراتيجية والداخلية وأحيانا الدينية. وإيران تريد من كل جوار أن ينسق معها أو أن يتفهمها حيال الجوار الآخر. ومنذ قيام الثورة ثم منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وهى تتصرف على أنها دولة ذات مخاوف وهواجس وليست فقط ذات طموحات. وقد أراح انهيار الاتحاد السوفيتى عن كاهلها ثقل هذا الجوار المزعج بكل قدرته على الضغط والتدخل الفج.

ومن الاطمئنان إلى القلق فى الحالة الأفغانية إلى الدور الاستراتيجى فى الحالة اللبنانية إلى الطموحات فى العلاقة الروسية، تبدو إيران وكأنها فى تحرك متعدد الاتجاهات والأبعاد، ضمن دائرة واسعة متعددة الدوائر، وفى قلب هذه الدائرة تقبع الولايات المتحدة والهواجس المتبادلة بين واشنطن وطهران. فهناك خوف أمريكى من دور طهران السياسى أو العسكرى فى أكثر من مكان، وهناك شعور إيرانى بأن الثورة محاصرة بالرقابة الأمريكية فى كل مكان، والعاصمة الإيرانية منقسمة حول الموضوع الأمريكى «بصرف النظر عن نسب التأييد والعداء».

وتتضارب أحيانا الإشارات السياسية الخارجة من العاصمة الإيرانية ويزداد غموض الوضع السياسى المتجاذب فيها، وليس معروفا مدى علاقة هذا الاختلاف الداخلى بالسياسة الخارجية.

فالباب الإيرانى الأساسى مغلق مع أمريكا مادامت لم تعتذر عن تأييدها للشاه، والولايات المتحدة لا تستطيع أن تفتح على نفسها بابا مجهول النهايات. فهو يعنى أنها ستعتذر عن تأييد المخابرات الفيتنامية أيام نجو دنيه دييم. وهكذا تزداد دوامة اللاعلاقة الإيرانية الأمريكية اتساعا، ويحاول كل فريق استباق الآخر والالتفاف عليه.

وقد رأت إيران فى روسيا حليفا مفترضا أو بالأحرى رأت فيها الحليف الوحيد المفترض. فالاتكال على الصين صعب لأسباب كثيرة ومختلفة. فهى أولا لا تزال متخلفة عن الروس فى عالم السلاح، وهى تعتمد على التقنيات الإسرائيلية إلى حد بعيد. إضافة إلى أن العلاقة مع تل أبيب شبه خاصة. وفى المقابل فإن بكين تقيم أيضا علاقة تعاون واضحة مع العراق من خلال مثلث حربى، ولذا تحاشت إدارة بوش أن تقصف الرادار الذى اشتراه العراق من سلوبودان ميلوسيفتش إلا فى يوم عطلة الخبراء الصينيين الذين يشغلونه وذلك خلال غزو العراق عام ٢٠٠٣.

ورأى الروس أيضا فى التحالف مع إيران فرصة ذهبية، فالعلاقة مع طهران وبغداد برغم اختلاف الاثنتين فيما بينهما، تشكل إطلالة واقترابا من مياه الخليج الدافئة، ولذلك أرسلت روسيا إلى دول المنطقة نائب وزير الخارجية ومعه اقتراح رسمى بتشكيل «منظومة» تضم أيضا العراق وإيران مقابل انسحاب القوات الأجنبية، لكن دول الخليج رفضت الاقتراح ورأت فيه وسيلة لحماية النظام العراقى، وأبلغ الكويتيون الدبلوماسى الروسى أنه فى ضوء المعطيات الحالية لا تستطيع الكويت أن تعرض نفسها وأبناءها لأى هزة كيانية أخرى.

غير أن العلاقة الإيرانية الروسية مستمرة على أى حال، فطهران تعرف أنه مهما تحسنت علاقاتها مع أوروبا فإن أوروبا تظل مرتبطة بالتزاماتها الغربية مع الولايات المتحدة، وهكذا يبقى الجار الروسى هو البديل الأقرب والأضمن خصوصا بعد تخليه عن الشيوعية، وتلتقى مصلحتا الدولتين فى نقاط كثيرة، من أفغانستان إلى الهند، بل حتى حيال تركيا، لكنهما تتصادمان فى العراق، حيث تبدو الأشياء صعبة ومعقدة حتى الآن.

التعاون السودانى الإيرانى

بزيارة الرئيس الإيرانى الأسبق هاشمى رافسنجانى للسودان على رأس وفد أكبر من المألوف عام ١٩٩٣ تكرس تعاون استراتيجى واسع النطاق بين البلدين.

وكان النظام الثورى الإيرانى يخطط لاستخدام سودان نظام البشير الترابى الذى يرفع راية الإسلام كقاعدة للتأثير فى النطاق الإفريقى قفزا من فوق أسوار دول المشرق العربى التى وقفت ضد كل محاولات تصدير مبادئ الثورة الإيرانية، ولم يكن غائبا عن ذهن المخطط الإيرانى التفكير فى استخدام الجماعات والمنظمات الإسلامية فى منطقة الشمال والوسط والشرق الأفريقى لتحقيق أهدافه وأهداف السودان.

وكان مشروع الترابى لإنشاء إمبراطورية إسلامية لن يتحقق فى تصوره، إلا عبر انهيار سياسى أو انقلاب يؤدى إلى صعود القوى الإسلامية فى هذه الدول إلى السلطة.

وهذه العلاقة الإيرانية السودانية كانت خطوة على طريق إخراج السودان من عزلته التى وصل إليها عبر محطات الصدام مع الجيران وتصادم المصالح ومحاولات زعزعة الاستقرار بهذه الدول، بالإضافة إلى مساندة النظام العراقى خلال غزوه للكويت.

وهذه السياسة التى كان من وسائلها دعم المنظمات والجماعات الإرهابية بالمنطقة، وضعته فى مواجهة الولايات المتحدة وأوروبا، مما ضاعف من العزلة المفروضة عليه.

ولكى يتمكن السـودان من الصعود فى مواجهة هذه العزلة وامتلاك القدرة على الحركة كان بحاجة إلى البترول والمعونات المالية والخبرات الفنية والأهم للسلاح.

وتعهـدت إيران بتوفير نسـبة من هذه الاحتياجـات. وتدفقت كميات لا بأس بها من الأسلحة والذخيرة والأجهزة الحديثة وصاحب وصولها، وصول عدد من الخبراء والمستشارين العسكريين من الحرس الثورى الإيرانى، وانضم هؤلاء إلى الخبراء فى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

وكان أهم ما تضمنه اتفاق الطرفين، منح تسهيلات بحرية لإيران فى ميناء بور_سودان، وبذلـك ضمنـت إيران نقطة ارتكاز رئيسـية لقواتها البحرية فى هـذه المنطقة الملتهبة من العالم.

هذه النقلة فى ميزان القوى دفعت إيران من أجلها ١٤ مليون دولار سنويا، وبعد نجاح البشـير فى إزاحة الترابى بدأ هذا التعاون فـى الاهتزاز، وإن ظل لإيران مكانها ومكانتها فى الفضاء السياسى السودانى.

الإخوان.. وإيران

سجد الإخوان المسلمون عام ١٩٩٠ لدنانير صدام حسين وعطاياه وتحالفوا معه وانكفأوا علـى وجوههـم، وزحفوا علـى بطونهم، ورهنوا مـا تبقى عندهم من حيـاء عند النخاس العراقى، قبل أن يعلنوا تأييدهم ومناصرتهم لغزو جيوش صدام للكويت.

لقـد اختاروا بوعى وبإرادة ووفقا لحسـابات سياسـية واقتصادية ودينية!! مسـاندة الاحتلال والغزو والقهر والتسـلط والبغى والعدوان، وأداروا ظهورهم للاسـتقلال والسـيادة والإنصـاف والحريـة، واختصارا قادهم قصـر النظر والطمع فيما سـيعود عليهم من جراء انتصار صدام إلى ركوب حمار المصلحة الخاصة الأعرج، والتنكر لمنطق المصلحة العامة ولكل القيم النبيلة والمبادئ والأخلاق.

ومن قلب المحنة وهوان الاحتلال وقسوته، اختار إخوان الكويت أن يكونوا مع وطنهم، ورفضـوا موقف الإخـوان واتهموه بالانتهازية، وخاضوا معركـة مزدوجة الأولى ضد قوات الاحتلال والثانية فكرية وعقيدية ضد جموع الإخوان المسلمين. وبهذا الاختيار أنقذ إخوان الكويت شـرفهم وتاريخهم والآن، وبعد أن أعلنت إيران الحرب على مصر واسـتهدفتها، وأطلقت القوى المتحالفة مثل سـوريا والأدوات مثل حزب الله وحماس للعمل ضد سيادتها

وأمنها القومى، اختار الإخوان المسلمون الوقوف مع إيران والمشاركة فى العمل ضد مصر الوطن والمواطنين.

وبعد ما يقرب من ٣٠ عاما على غزو الكويت، لم يستفد الإخوان من درس إخوان الكويت، ولم يحاولوا مجرد محاولة أن يكونوا مع مصر وهى تتعرض لهجمة إيرانية. رأس الحربة فيها هذه المرة حزب الله، حتى وبعد أن اعترف رئيسه بالمؤامرة، أصروا على ما هم فيه من غى وعدم انتماء. وهاجموا موقف مصر وما اتخذته السلطة من إجراءات.

ومرة أخرى يتأكد أهل المحروسة أن ما قاله المرشد العام السابق من قبل وأعنى «طظ فى مصر» لم يكن زلة لسان. بل هو نهج فكرى وعملى، وها هم يطبقونه بكل طاقتهم، بل إن هناك من عناصرهم من عمل وشارك فى نشاط المجموعة الإرهابية التى شكلها حزب الله فى مصر.

والإخوان المسلمون يعلمون أن إيران سبق أن دربت مجموعات اغتيال. لاغتيال رئيس مصر وعدد من كبار المسئولين بها، وأن خلية حزب الله التى بدأت نشاطها منذ سنوات كانت تخطط لعمليات إرهابية واسعة النطاق. بالإضافة إلى عمليات تهريب السلاح. كما يعلمون أن إيران وسوريا وقطر واليمن وحزب الله وحماس قد نظمت مظاهرات مضادة لمصر مع ذلك اختاروا أن يكونوا مع إيران.

درس من إيران والسودان

عندما ساندت الولايات المتحدة ثورة الخمينى، وقدمت له الدعم للإطاحة بنظام الشاه بالتعاون مع فرنسا كانت على بينة من أنه سيقيم نظاما إسلاميا، وأنه بالضرورة سيصطدم بها لتناقض الأهداف والمصالح.

ولم تكن تلك السياسة إلا تعبيرا عن مخطط للقبول بنظم إسلامية فى عدد من الدول تمهيدا لجعلها أمثولة وعبرة حتى لا يفكر أحد فى تكرار هذه التجربة مستقبلا.

والنظام السياسى الإسلامى فى إيران أو غيرها حتى ولو كان يملك ثروات طبيعية كالمياه والبترول. سيعجز عن تلبية تطلعات الناس للحرية والمساواة والعدل والخبز. وبالتالى فإن الصدام بينه وبينهم حتمى. ومؤهل بجدارة للانعزال داخليا وبما أن الثورة تعمل دائما لنشر مبادئها. فإن النتيجة هى الاصطدام بدول الجوار وبمحيطها الإقليمى وبصورة تساعد على عزلها خارجيا.

وبما أن إيران وغيرها من الدول الإسلامية المؤهلة لتبنى نظم حكم إسلامية لا تنتج سلاحها وتضطر للاعتماد على الخارج لاستيراده. ولا تنتج ما يكفى من القمح لإطعام مواطنيها. فستظل عرضة لضغوط الدول المصدرة وفى مقدمتها الولايات المتحدة.

ولكى تحصل على احتياجاتها وتبيع بترولها. فإنها دائما فى حاجة إلى الآخرين. وهذه نقطة ضعف رئيسية.

أما الديكتاتورية والقهر والفساد الذى يصاحب الثورات وعدم احترام حقوق الإنسان فسيحرم الثورة والثوار من التعاطف ويساعد على عزلتها.

وبعد مرور هذه العقود ها هى الثورة الإيرانية معزولة ومحاصرة داخليا وخارجيا.

ولا يختلف الأمر مع نظام الحكم الإسلامى فى السودان، فمنذ بدأ نظام الترابى. البشير عام ١٩٨٩. كان الحلم إقامة إمبراطورية إسلامية.

والآن فإن الوضع يدعو للرثاء لما آلت إليه الأوضاع فى السودان بعد أن فشل المشروع فى إنجاز أى من أهدافه. وتحول للتعاون مع الولايات المتحدة والدول الغربية للإفلات من الحصار والعقاب.

ولا يمكن اتهام الآخرين بالتآمر لتحويل هذه النظم إلى أمثولة. فذلك لم يكن خافيا منذ البداية. وكان السؤال. ماذا فعلت هذه النظم لتجنب مثل هذا المصير؟ لقد كان أهم ما تملكه هو الأمانى والأوهام والشعارات. أما على أرض الواقع فلم يكن هناك سوى القهر والتسلط والفساد والأهم العجز عن فهم الواقع ومعطياته.

أحمدى نجاد.. والمسئول العربى

لو أن ملكا أو رئيسا عربيا حاول بكل مودة واحترام أن يسأل نظيرا عربيا عن أسباب وجود قواعد أمريكية فى بلاده. فهل سيتسع الصدر لسماع السؤال. ولو اتسع هل سيتسع الأفق ورحابة الصدر للإجابة عنه؟

ومن قراءة دفتر العلاقات العربية العربية طوال العقود الماضية. لا يستطيع أى مراقب أن يضع ردا إيجابياً. فالحساسيات وتعاظم الإحساس بالذات. وفخامة الكبرياء حالت وتحول دون اتساع الصدور. هذا من جانب. ومن جانب آخر فإن اللياقة والفطنة والذكاء ومراعاة المشاعر والإدراك العميق أن لكل دولة سياساتها واستراتيجياتها وظروفها تمنع أى طرف عربى من طرح مثل هذه الأسئلة.

لماذا أطرح مثل هذا الافتراض الآن؟

والإجابة ببساطة: أن الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد، سأل أميرا عربيا عن القواعد الأمريكية الموجودة فى بلاده، وبكل الاستعلاء والغطرسة واللياقة المفتقدة، استطرد قائلاً بعد أن استمع للإجابة المراوغة من المسئول العربى، بلهجة جافة وحادة، إنه إذا ما بدأت الحرب الأمريكية ضد إيران، فإن أول صاروخ إيرانى سيجرى إطلاقه سيكون باتجاه هذه القواعد الموجودة فى بلده، أى فى بلد هذا الأمير العربى، وقال أيضا إن البلد كله سيدفع ثمن وجود هذه القواعد الأمريكية، ولم تشر الصحف التى نشرت ما جرى من حوار أو من تهديد سافر وغليظ إلى أى استنكار علنى، أو أى رد حتى ولو على استحياء من جانب الأمير العربى على مضيفه، المهم أن المسئول العربى، قبل من الرئيس الإيرانى وهو فى ضيافته، مالا يمكن أن يقبله من أى شقيق عربى!

وإذا كان الرئيس الإيرانى يتحدث بمثل هذه اللهجة وهذا الأسلوب مع مسئول عربى كبير، وبلاده لم تنجز حتى الآن فى المجال النووى، سوى تخصيب اليورانيوم بنسبة متدنية، فماذا يمكن أن يفعل مع مثل هذا المسئول وغيره من أهل هذه المنطقة المطلة على الخليج إذا ما امتلك سلاحا نوويا؟

بل وماذا سوف يفعل مع باقى دول المنطقة إذا ما أصبحت إيران قوة إقليمية عظمى وبدأت تسعى إلى توسيع دائرة نفوذها؟

خيار المنفى

ثمة حكاية قديمة قدم المجتمعات الإنسانية ملخصها أن يختار الإنسان المنفى بأمل العودة ظافرا إلى الوطن، وفى العديد من المجتمعات تبلغ الأمور حدا تصبح الحياة معه لا تطاق بالنسبة للبعض، ويصبح الخيار واحدا من اثنين الصراع أو المغادرة.

فى بعض الحالات يصبح الصراع إما مستحيلا أو أنه يؤدى إلى موت سريع، وتنتهى الحكاية، كما أن البشر ليسوا كلهم مستعدين للبطولة أو الشهادة، معظم الناس يريدون حياة كريمة واعتيادية، وغالبية البشر ليسوا مستعدين لقتل النفس باسم الغاية السياسية والهدف، بهذا يصبح المنفى السبيل الوحيد لمن يحسون بالاختناق تحت وطأة نظام لا يطيقونه.

وليس الذهاب إلى المنفى خيارا مقتصرا على مواطنى أنظمة قاسية مثل جنوب أفريقيا أيام نظام الفصل العنصرى «الأبارتايد» أو العراق فى ظل صدام حسين، بل يشمل بشرا

آخريـن. ففى العشـرينيات من القرن الماضى قررت النخبـة اللامعة الأمريكية أن ترحل إلى باريـس، واختـارت فندق «ريتز» مقرا لها. كان هؤلاء المنفيون طوعا واختيارا يعتبرون الحيـاة الثقافية فى الولايات المتحدة محدودة جـدا وينظرون إلى الجمهور الأمريكى على أنه بسيط وسطحى.

وعندما فاز فرانسـوا ميتران برئاسـة فرنسـا للمرة الأولى، راجع العشـرات من رجال فرنسا ونسائها، بهدوء سفارتى بريطانيا والولايات المتحدة طالبين تأشيرات دخول وإقامة فـى البلدين، مقررين العيـش فى المنفى. كانوا يعتقدون أن ميتران وجماعته الاشـتراكية سيحيلون فرنسا إلى ديكاتورية على الطراز السوفيتى.

وفـى العديـد من دول العالم الثالث يكاد يسـتحيل العيش والتمتـع بالحد الأدنى من الحرية. الحياة فى إيران اليوم، على سبيل المثال، مستحيلة لكل من يجد فى نظام «ولاية الفقيه» تجاوزا وسخفا، بموجب ذلك النظام، هناك ملا اختاره ملالى آخرون. يعتبر «الفقيه الـولى» بهـذا يصبح قائما علـى الأمة وكأن الإيرانيين أطفال أو نـزلاء مصح عقلى يتوجب شكمهم.

للفقيه الولى أن يعلق العمل بالدستور وأن يطرد الرئيس المنتخب ويحل البرلمان المنتخب والأسوأ من هذا، له حق تعطيل حدودالإسلام وشرائعه الأساسية.

هـذه ليسـت ديكتاتوريـة عادية، لأنها تريد أيضـا التغلغل فى النفـس والتدخل فى المعتقد والممارسة.

فى عام ١٩٨٠ قال آية الله الخمينى المعروف بصراحته، إن على الذين لا يقبلون النظام أن يختاروا ما بين:

١ – أن يخرسوا أبدا بموجب «التقية».

٢ – مغادرة البلاد.

٣ – المجاهرة برأيهم وتلقى الإعدام.

اختـارت الأغلبية الكبرى الخيـار الأول طبعا. واختار حـوالى ٣ ملايين إيرانى الأمر الثانى، وتم بالفعل إعدام الآلاف الذين مارسوا الخيار الثالث.

بالنسبة للذين يعيشون فى المنفى تطرح قضية مقارعة النظام فى الوطن أم عدمها بشكل جدى عاجل.

لهم طبعا خيار أن يتناسوا الوطن كما يحاول المرء نسيان الكوابيس.

وقد فعلت ذلك الملايين من البشر عبر العصور. فالذين فروا من البطش الدينى والسياسى وهاجروا إلى الأمريكتين واستراليا لم يفكروا فى العودة أبدا.

وتضم كل أمة أحفاد الذين هاجروا فارين من أنظمة طاغية.

لكن بعض المنفيين يقررون مقارعة الطغيان فى الوطن. فتفرض الحياة على هؤلاء إجابة أسئلة صعبة. كيف يتسنى للمرء أن يقارع نظاما كريها دون أن يؤذى أهله وشعبه؟ كيف يمكن له أن يصبح خصما فى المنفى لنظام بلاده دون أن يتلاعب به أعداء بلاده؟ ما هى المعارضة فى الخارج التى تسيرها العواطف الشريفة غير الأنانية وأى منها تسيرها الطموحات الشخصية؟

إيران والفيلم

تطلعت إيران دائما للقيام بدور القوة الإقليمية العظمى. أى القوة صاحبة النفوذ والكلمة فى المنطقة. وأمام الرفض الإقليمى والدولى سعت للتحول إلى دولة نووية لحماية الوجود والوصول للهدف.

وممارسة هذا الدور ستكون على حساب المحيط السنى خاصة مصر والسعودية. فلجأت إلى تبنى سياسات هدفها تقويض الوجود السنى وإصابة القوتين السنيتين بالمنطقة بالشروخ لإضعافهما. وطوال السنوات الماضية خاصة بعد إسقاط نظام صدام حسين حقق المشروع الإيرانى نجاحا مرموقا. فقد وضع الملالى قدما فى العراق وأخرى فى لبنان وثالثة فى فلسطين ووجدوا مئات الأدوات ومنها كتاب وعدد من الساسة والوجوه التليفزيونية للدفاع والتبرير والتسويق لكل ما تقوم به طهران. وما أيسر ثمن كل هؤلاء.

والآن وفى ظل المناورات المستمرة حول المشروع النووى هناك ثلاثة احتمالات:

– الأول: أن تتمكن إيران من استكمال مشروعها. وهكذا تكون قد بلغت الهدف.

– الثانى: إتمام صفقة كبرى تمنح فيها أمريكا وباقى القوى الدولية إيران دورا إقليميا على حساب القوى الموجودة بالمنطقة مقابل وقف المشروع النووى. وهنا أيضا تكون إيران قد تمكنت من الحصول على الدور الذى سعت إليه.

– الثالث: مواجهة عملية عسكرية. وهنا على العالم أن يواجه ما يمكن أن يترتب على ذلك من آثار ولكن إيران ستكون قد خسرت الرهان تماما.

ولأن إيران تملك الموارد والطموح والإرادة والأدوات فإنها تناور على المسرح العالمى. وتعمل على كسر وحصار المحيط السنى وإضعافه. وما الفيلم الإيرانى عن مصرع السادات سوى

خطوة على هذا الطريق، فالفيلم يستهدف النيل من السنة واتهام أبرز قادة مصر بالخيانة وتصوير السلام مع إسرائيل وكأنه كارثة تلحق بالمنطقة ومشروع المقاومة والممانعة.

والفيلم على هذه الصورة يعنى أن إيران تهاجم العالم السنى بضراوة وشراسة بالغتين. والاكتفاء هنا بموقف الدفاع وإبراز الدور الوطنى الكبير للرئيس للسادات لا يمكن أن يحقق الكثير.

فمن الواضح أن الفيلم استهدف المشاهد فى الشارعين العربى والإسلامى لا المصرى فقط. وهنا ليس هناك أمام مصر سوى الهجوم وكشف أهداف إيران وطموحات الملالى وعلاقاتهم المستمرة والخفية بإسرائيل التى انكشفت بفضح ما عرف بالكونترا جيت. وفتوى الخمينى بالحصول على الأسلحة والذخائر والمعدات من اسرائيل وفقا لمنطق الضرورة، خلال سنوات الحرب مع العراق ١٩٨٠ – ١٩٨٨.

وهنـاك فى مصر من الإمكانيات ما يكفى لبدء هجوم قوى وشـامل على إيران وقادتها وأهدافها وفيلمها أو أفلامها المشينة.

❑❑❑